الجمهورية الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأثر العقلي في التخريجات اللُّغويّة عند ابن جنّي

مُدوّنة الخصائص أنموذجاً

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير ضمن مشروع الدِّراسات اللغويّة

بين التّراث والحداثة وأثرها في التّواصل وتحليل الخطاب

إشراف

أ د عوني أحمد محمد

إعداد الطالب

حبيب حساني

أعضاء اللجنة المناقشة

د . بن جامعة الطيب	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة تيارت .
أ.د عوني أحمد محمد	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة تيارت
د. حنجار غانم	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة تيارت
د. حسيني بلقاسم	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة تيارت
د. بوعرعارة محمد	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	م.ج- تيسمسيلت

السنة الجامعية 1435هـ-1436هـ/ 2014-2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

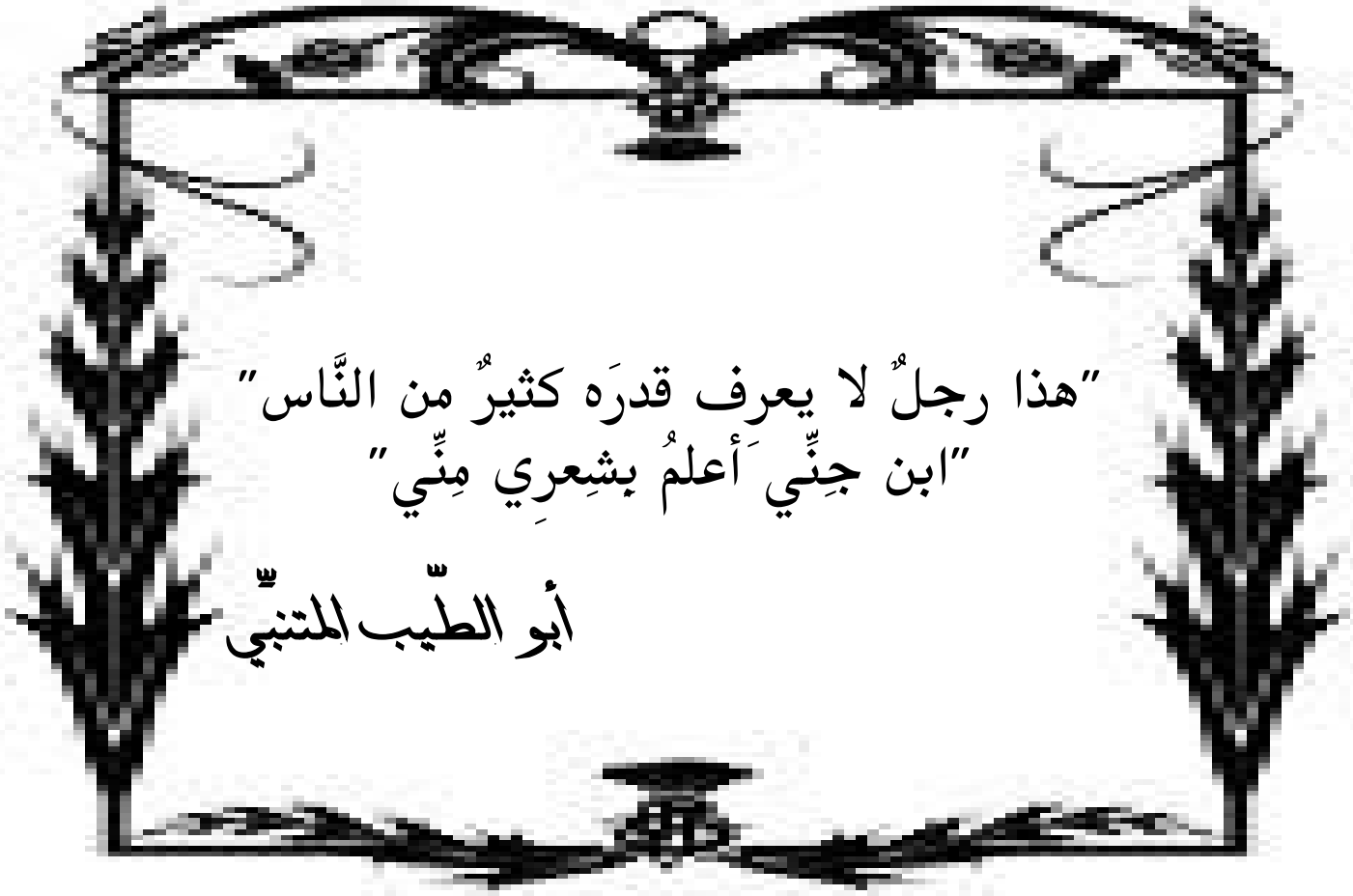

"هذا رجلٌ لا يعرف قدرَه كثيرٌ من النَّاس"
"ابن جِنِّي أعلمُ بشِعرِي مِنِّي"

أبو الطّيب المتنبّي

شكر

إنّ الحمد لله وحده

أستعين به، وأثني عليه ثناءً يليقُ بجلاله، وعظمته

وأصلّي وأسلّم على خير الورى محمدٍ النّبي الأكْرم

الذي أدّى الأمانة، وبلّغ الرّسالة، ونصح الأُمّة وجاهد في الله

أفضلَ الجهاد.

أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى الأستاذ الدُّكتور عوني أحمد محمد

والأستاذ الدُّكتور غانم حنجار

اللذين عهِدت فيهما رجاحة العقل، ورحابة الصّدر، وغزارة

العلم، وإلى كلّ

مَنْ ساعدني من قريبٍ أو من بعيدٍ، وأخذ بيدي إلى الهدف

المنشود، وإلى جميع

أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة ابن خلدون.

إهداء

إِلى روح المغفور لها الأم الحنون

خديجة التى غادرتنا إِلى الرَّفيق الأعلى دون إِذنُ

إِلى الوالد الوقور الذى أنار درب حياتى تربية وتهذيباُ

إِلى الزوجة الوفيةُ

إِلى فِلذّات كبدى أبنائى وبناتىَ وأخصّ بالذّكر الكتكوت الصّغير إِسلامُ

إِلى جميع إِخوتىَ وأخواتىُ

إِلى أمّى الثّانية أمينةُ

إِلى سائر أساتذتى غفر اللهُ لهمَ وجزاهم خير الجزاءُ

إِلى الذى تجشّم عناء كتابة هذه الرّسالةُ

أُهدى عُصارة جهدىَ وثمرة عملىِ

حبيب

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل العربية خير لسان، وأنزل بها القرآن الكريم، معجزة خالدة عبر الدُّهور والأزمان، والصّلاة والسلام على الرّحمة المهداة والنِّعمة المسداة، أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد معجز البلغاء، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين ،وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،ثمّ أما بعد:

لا أعتقد أن ثَمّة أثر لغوي تراثي بلغ من الشهرة وذيوع الصيت، ما حققته مدونة الخصائص ذلك المصنف الجليل، الذي ارتبط اسمه بالإمام العلامة أبي الفتح عثمان بن جني اللغوي النحوي الموصلي ت (392هـ).

ومما لاشك فيه أنها بلغت هذه المنزلة العلمية المتميزة لتفرّدها بصفات أهمها: ما اشتملت عليه من مباحث لغوية شتى، فأضحت منهلا يستقي منه كل باحث، ويغوص في لججه كل دارس، فالخصائص من أفْيد ما جاد به القرن الرابع الهجري، تضمّنت مسائل في اللغة وفق الأنظمة والمستويات التي أطَّرتها وعالجتها اللسانيات الغربية الحديثة، كانت لها معها تقاطعات على المستوى المنهجي والإجرائي، وبذلك حازت السبق في التأسيس لعلم لساني عربي جدير بالدراسة والاهتمام، حيث قدمت تصورات وكشفت ظلالا لسانية، لا ينكرها إلا جاحد.

ومدونة الخصائص تناولت بحوثا قيّمة في فقه اللغة، من حيث مفهومها، والمذاهب المحتملة لنشوئها، فضلا عن مسألة الاشتقاق الأكبر، الذي كان ابن جني مولعا به، فاستطرد في الترادف والتضاد والمشترك اللفظي، أما عن النحو والصرف فقد استأثرت بجلّ مباحثها، تناولت الإعراب والنحو والبناء والحذف وغيرها، وفي الخصائص دراسات جادة في علم الأصوات، جعلت حداً فاصلا بين الصوت والحرف، وأعطى الفروق بينهما بشكل جليّ.

وكذلك الأمر في علم أصول النحو، فهذا العلم هو محور الدراسة التي من أجلها أُعد هذا الكتاب، وقد أرجئ الحديث عنه في هذا المقام لدواع منهجية، فقد كان له باع طويل في السماع والقياس، وما إلى ذلك، فهو بحسب النقاد والباحثين المؤسس الفعلي وواضع أسس ومعالم هذا العلم.

وقد تأثرت الخصائص أيَّما تأثر بعلم الكلام، ولعل الاعتزال كان فيها واضحا باديا للعيان، فالذهنية الاعتزالية لابن جني انعكست على آثاره اللغوية، وكانت حاضرة في جميع مصنفاته اللغوية، وفي هذا الأثر على وجه أخص، ومما لا شك فيه أن اللمسات العقلية

طغت على أغلب المباحث اللغوية، لا سيما علم أصـول النحو، ظهرت هذه اللمسـات على مستوى وضع المصطلـح، وتنظير القاعدة، وإصدار الحكم.

إنّ المنزلة التي حازتها هذه المدونة جعلت العلماء والدارسين والمختصين يُقبلون على تدراسها، فخصّها التراثيون بالعناية واستأنسوا بها في كتاباتهم، إذ مثّلت المصدر الأثير الذي احتاجه هؤلاء، فلا يصدر مصنَّف إلا وفيه تحليل أو تعليق أو استدلال من هذه المدونة ومن هذه المصادر نذكر المزهر في علوم اللغة وأنواعها، والاقتراح في علم أصول النحو وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت(911هـ)، ومؤلفات الشيخ الإمام كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ت(577هـ) على غرار لمع الأدلة، وأثارت الكثير من الجدل عند المعاصرين ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: كتاب عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني للأستاذ الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال، ومُؤَّلف ابن جني النحوي للأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي، ومؤلَفات الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وآثارالأستاذ شوقي ضيف، والكثير من دراسات دوائر المعارف والرَّسائل الجامعية.

ومن هذا المنطلق امتلكت الجرأة في مغامرة البحث في فكر وعلوم هذا الإمام الفذّ، محاوراً هذا الطّود الشامخ، محاولا سَبْرَ أغواره، والغوص في مجاهيله، فكان عنوان مذكرتي بعد أخذ وردّ وإحجام وإقحام [**الأثر العقلي في التخريجات اللغوية عند ابن جنّي، مُدونة الخصائص موضوعًا**].

هذا العنوان قادني إلى طرح تساؤلات عدّة تكون مدارا لإشكالية البحث:

- ما هي المضامين المعرفية التي اشتملت عليها مدونة الخصائص؟
- كيف تتجلى نزعة الاعتزال في هذه المدونة؟
- ما أثرها على الجانب الإجرائي " التخريجات اللغوية في الخصائص"؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات يمكن ضبط المقاصد المتوخاة من إعداد هذا البحث كالقضايا اللغوية، وتحديد الأثر العقلي في التخريجات في وضع المصطلح، والنظرية والحكم، ثم المنهج المتبع، واللغة الغالبة، مع إرفاقها بجانب إجرائي للأنظمة اللغوية فيها.

أمّا عن الدواعي والأسباب التي قادتني إلى اختيار هذا الموضوع فهي كثيرة يمكن حصرها في اعتزازي بلغتي التي هي جزء من كياني، ومقوّم ثابت من مقومات أمّتي، فحاولت بعث هذا الأثر من التراث المشرق لحضارتنا عُربونا لحبّي ووفائي، علّني أقدِّم بذلك

عملا يحسن الاستئناس به في خضم هذه الدراسات العصرية المتوالية بفعل التدفّق المعرفي العالمي.

إن طبيعة البحث اقتضت الاعتماد على مناهج عدة، كلّ له مكانه في توجيه الموضوع إلى الغاية المنشودة، فالمنهج التاريخي للإفادة في الوقوف عند المحطات الكبرى التي كانت لها صلة مباشرة في التأريخ للحياة العامة في القرن الرّابع الهجري، وما تعلق بنشأة أبي الفتح عثمان بن جني.

والمنهج الوصفي وهو المنهج الرئيس في إعداد المذكرة، اعتمدته في تقديم المادة اللغوية ،وما انطوى عليها من ملاحظة ووصف وتحليل.

أما المنهج المقارن فقد أفادني في سرد آراء العلماء والأعلام، ومقارنتها بآراء واستدلالات ابن جنّي.

ولا يخلو أي عمل أكاديمي من العوائق والصعوبات، ومن ذلك صعوبة حيثيات الدرس اللغوي في هذا المصنّف، ثم تداخل أنظمته اللغوية فيما بينها، فمن الصعوبة بمكان الفصل بين هذه الأنظمة، ودراسة كل نظام على حدى، ناهيك عن غياب المنهجية المثلى في التأليف، كما هو الحال في أغلب الأعمال التراثية.

ولأجل التحكم المنهجي في سير البحث اجتهدت في إيجاد خطّة عملية تتكون أساسا من مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

أما المدخل: فحوى مبحثين: مبحثاً أولاً: يتضمَّن قراءة في السّمات العامة للقرن الرابع الهجري، وذلك بإطلالة على الواقع السياسي، والاجتماعي، والديني، والحركة العلمية إجمالا في هذا القرن.

مبحثاً ثانياً: خصّص للترجمة الأدبية لحياة أبي الفتح عثمان بن جني، ركّزت فيه على التعريف به مولده، نشأته، صفاته، أخلاقه، منزلته العلمية، أهم مؤلفاته وآثاره، وأخيرا سنة وفاته.

الفصل الأول: موسوم بـ: **البناء المعرفي والمعالم المنهجية لمدونة الخصائص:** ضمّ هذا الفصل خمسة مباحث .

المبحث الأول:تقديم مدونة الخصائص: تمَّ من خلاله تقديم الكتاب من حيث التعريف به، وذكر دواعي تأليفه، والتطــرق لأهم من حققوا له، ومن هؤلاء الدكتور محمد علي النجار، والدكتور عبد الحكيم بن محمد .

المبحث الثاني:البناء المعرفي للمدونة : ضمّ هذا المبحث القضايا اللغوية التي اشتمل عليها المصنّف، التي كان أولها فقه اللغة الذي تضمَّن تعريف اللغة، وضبــط حدودها ومذاهب نشأتها، ثم الاشتقاق بأنواعه لا سيما الأكبر الذي يُعد ابن جني صاحب فضل ابتكاره، ومسائل تتعلق بالمرادف والتضاد والمشترك اللفظي، كما كان لابن جني التأسيس لعلم الأصوات العربي ، فحدّد تعريفا لمصطلح الفونيم ، وأزال التداخل الحاصل بين الحرف والصوت، وللنحو والصرف الحظ الأوفر، حيث تناولت المدونة الإعراب ،البناء، الحذف التقديم، التأخير،مسألة العامل النحوي،الأوزان القياسية والشاذة، ومسائل تصريفية متفرقة مبثوثة بين ثنايا الكتاب، أما في أصول النحو فقد ركّزت على جـلّ المسائل التي قدمّها الكتاب، السمــاع، القياس،العلل، الإجماع، عدم النظير، الحمل على الظاهر، وغيرها.

المبحث الثالث: المواصفات المنهجية للخصائص: تطرّقت فيه إلى المنهج الوصفي الذي اعتمده ابن جني،والمنهج المقارن الذي استعان به في عرض نظرياته اللغوية ، وموازنتها بأقوال العلماء ،ثم تأثره بعلم الكــلام والاعتــزال، والولاء للمدرسة البصرية، القائمة على التعليل، والإسراف في الاستشهاد.

المبحث الرابع: المكانه العلمية للمدونة: تمّ من خلاله التّنويه بمنزلة هذه المدونة، وأنها توفرت على شروط أهَّلتها لتحصيل التفوق، وهيأتها لامتلاك الريادة، بفضل أناقة أسلوبها واستيفائها، لعلوم اللغة قاطبة، بداية من فقه اللغــة، وانتهــاءً بأصــول النحو، توفرت على عنصر الجدة، تحقيقها للسبق في التأصيل، والتأسيس لبعض علوم اللغة، صنفها عالم عبقري فذ، مطبوع متحرِّر، بعيد عن التقليد، يُقر بآراء مخالفيه، ويستمد تخريجاته وفق خلفيته وتكوينه.

المبحث الخامس شواهد المدونة: إن الشّواهد حاضرة عند ابن جنّي كما هو مألوف في المدونات التراثية، وقد ذُيِّل الفصل الأول بها، و اُستُمِدت من ثلاثة روافد، الآي الكريم لأنه منقول بالتواتر، ثم الحديث الشريف، وكلام العرب المنظوم.

الفصل الثاني: أثر الاعتزال في تفكير ابن جني: استهل هذا الفصل بلمحة سريعة حول ظهور علم الكلام، ومذهب الاعتزال عند العرب، ودواعي ازدهاره، وضمّ ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مستوى التنظير: تناولت فيه أثر الاعتزال على مستوى التنظير من حيث تأطير النظريات اللغوية ووضع المصطلح ، ثم التأثر على مستوى المنهج المتبع.

المبحث الثاني: مستوى اللغة : دار النقاش فيه عن اللغة ونعني بذلك استعمال اللفظ الدال على الاعتزال، كلفظ القديم والجوهر والعرض.

المبحث الثالث: مستوى الأحكام: توصَّلت فيه إلى إبراز تأثُّر الحكم اللغوي بالنزعة الاعتزالية عند العلامة ابن جني.

الفصل الثالث: تطبيقات من تجليات العقل في الأنظمة اللغوية للخصائص: بدأت الحديث في هذا الفصل بتوطئة تخص الصرامة التي أبداها ابن جني انتصارا للاعتزال، وقسمته إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول: تطبيقات في فقه اللغة: تتعلق بماهيتها، مذاهب نشأتها، فمسألة الاشتقاق الأكبر، الترادف، التضاد، والمشترك اللفظي.

المبحث الثاني: تطبيقات في علم الأصوات: تمّت مناقشة تأثيرات الاعتزال على النظام الصوتي للخصائص ،كالصوت، والحرف، والإمالة، والإدغام .

المبحث الثالث: تطبيقات في المستوى الصّرفي :حيث ناقشت من خلاله الملامح العقلية الاعتزالية في قضايا صرفية، كالغرض من مسائل التصريف، وفي بعض الصيّغ والبنى الصرفية .

المبحث الرابع: تطبيقات على المستوى التركيبي:وقد قمت بإبراز التجليات العقلية في الأبواب النحوية في كتاب الخصائص، كمصطلح الإعراب، النحو، العامل، الحكم يقف بين الحكمين وغيرها .

المبحث الخامس :الملامح العقلية في أصول النحو:توصلت في هذا المبحث إلى الحديث عن علم أصول النحو الذي استحوذ على أغلبية التخريجات العقلية للمدونة، ومنها التمظهرات العقلية المستوحاة من علم الكلام والفقه، في السماع، القياس، الإجماع الاستحسان السّبر والتقسيم، وتخريجات العلل.

أما عن المصادر والمراجع التي شكّلت مكتبة البحث فإنها متوفرة، ولله الحمد، مما شكّل عائقا في انتقائها، واصطفاء أنفعها، وانتخاب الأصلح منها، وقد تعاملت مع المصدر

الأول المعتمد في مذكرتي كتاب الخصائص لابن جني، في نسختين، نسخة حققها الدكتور عبد الحكيم بن محمد والثانية حقّقها الدكتور محمد علي النجار، ثم عزّزتها بمصادر متنوعة.

التاريخية كالبداية والنهاية للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثيرت(774هـ)، ومروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسين علي بن الحسين بن علي المسعودي ت(346هـ)، وكتب التراجم كمصنف وفيات الأعيان لشمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت(681هـ)، وفي علم الكلام الملل والنِّحل لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، وفي المعجمية: لسان العرب للعلامة محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن منظورت(711هـ)، والقاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت(817هـ)، ومن المصادر اللغوية الكتاب لعمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ت(180هـ)، وعلل النحو لمحمد بن عبد الله الورَّاق ت (381هـ)، وكتاب الإنصاف في مسائل الخلاف للإمام كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنبا ري، ومن المراجع سلسلة فجر الإسلام، وضحى الإسلام، وظهر الإسلام للأستاذ أحمد أمين، وكتاب المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف، وابن جني النحوي للدكتور فاضل صالح السّامرائي، وعبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني للدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال وغيرها.

ما كان لي أن أقوم بهذا العمل لولا فضل الله، ثم فضل ثلّة من الأساتذة، الذين أخذوا بيدي وأسدوا لي النصح، فشاركوني التتويج وعلى رأسهم الأستاذ المشرف الدكتور عوني أحمد محمد الذي فتح لي قلبه، كلّما طلبته في خدمة استقبلني بشوشاً، والدكتور غانم حنجار الذي أتحفني بتوجيهاته السديدة وفكره النّير، فكانا نعم العون وخير السّند، والشكر موصول لأساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ابن خلدون بتيارت.

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الطالب: حبيب حساني

تيارت في 14 صفر 1436 الموافق لـ 2014/12/06

مدخـل

قراءة تاريخيّة في السِّمات العامة لعصر ابن جِنِّي.

التّرجمـة الأدبيّة لأبي الفتح عثمان بن جِنِّي

توطئة:

عاش العرب في شبه الجزيرة العربية حياة رتيبة، وتكلّموا لغتهم على الفطرة والسَّليقة ولم يكن هناك داعٍ لتقعيد هذه اللغة، لضبط الكلام، إذْ كان الخطأ يحدث على الألسن استثناء، وشذوذاً وكان مرتكبه يُشار إليه بالبَنان، والظاهر أن هذه الأمة الأميّة التي لا تكتب ولا تقرأ ديوانها الشعر، الذي احتوى لغتها، وببعثة المصطفى ﷺ وحلول الوافد الجديد، هدأ ضجيج الشعراء والخطباء، وانصرفوا مشدوهين إلى بلاغة الذكر الحكيم، يتلونه ويتدارسونه: " يعتبر القرآن في تاريخ العربية حدثا مهما، وذلك لأنَّه نموذج جديد لهذه اللغة الكريمة تطوّرت العربية في هذا النموذج، فكانت خليقة بأن تكون مُعربة عن دين جديد، هو في حقيقته حضارة جديدة"[1]

وما إن توسَّعت الفتوحات الإسلامية، وامتدت رقعة الدولة شرقا وغربا، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأقبل الأعاجم على تعلُّم هذه اللغة بنَهمٍ، حتى فسدت السليقة، ودبَّ اللحن، فسارع الغيورون على العربية إلى استدراك الوضع قبل أن يستفحل، يقول الدكتور تمام حسان:" لقد نشأت دراسة اللغة العربية الفصحى علاجا لظاهرة كان يخشى منها على اللغة، وعلى القرآن، وهي التي سمَّوها " ذيوع اللحن"[2]

ولعلَّ الباعث الديني هو العامل الرئيس في نشأة الدَّرس اللغوي عند العرب، الذي اتجه في البداية إلى تلاوة القرآن الكريم، وفهم معانيه، وتدبُّر آياته، فقد :"اعتنق الناس الإسلام في حماس وقوة، فملك عليهم نفوسهم، وأثر في كل المناحي الاجتماعية، ومنها الدين، فقد ظل الدين أساس كل الحركات العلمية إلى أواخر العصر الأموي"[3]

أما العامل الحضاري فهو مهم جدا في جعل العرب يقبلون على دراسة لغتهم، فقد دعا الإسلام صراحة في الآي الكريم إلى تمجيد العلم وتقديسه، قال الله تعالى ﴿**يَرفعُ اللهُ**

---

[1]– الدكتور إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1983: ص : 49.

[2]– الدكتور تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدّار البيضاء - المغرب، طبعة سنة 1994، ص: 11.

[3]– أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار ابن الجوزي، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى 2010، الجزء الثاني، ص: 12.

الذينَ آمنوا مِنكم والذينَ أُوتُوا العلمَ درجاتٍ واللهُ بما تَعملون خبيرٌ﴾ سورة المجادلة من الآية11.

وهناك عامل آخر فقد كان للإسلام أثر كبير في الحياة العقلية، وهو أنّه سلك في دعوته إلى الإيمان بالله وصفاته من علم وقدرة ووحدانية مسلكا يثير العقل، وهو الدعوة إلى النظر إلى ما في العلم من ظواهر"[1]

فعندئذ خرج العلماء إلى بطون البوادي إلى العرب الأقحاح، الذين لم تخالط ألسنتهم لكنة الأعاجم، ولم تفسد المدنية كلامهم، قبائل تميم، قيس، أسد وهذيل، جمعوا معطيات لغوية هائلة بشكل عشوائي مشافهة،:"وتمسَّك اللغويون في أخذهم عن العرب بمبدأ آخر صارم، وهو الاعتماد أساسا على السمع والمشافهة، والامتناع المطلق من الرجوع إلى ما هو مكتوب"[2]

وتمّ تصنيف وتبويب هذه المعطيات المجموعة، فأُلّفت رسائل وكتب متخصِّصة، كتاب الخيل، كتاب الإبل، كتاب النبات، وما إلى ذلك، تلتْها مرحلة الدِّقة والتخصُّص، والتعمُّق، فاشتدت المنافسة بين العلماء، كانت نتيجتها ظهور مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، مدرسة البصرة التي من أعلامها سيبويه ت(180هـ)، الأخفش الأوسط ت(215هـ)، قطرب ت(206هـ)، المازني ت(249هـ) ،المبرّد ت(285هـ)، والزجَّاج ت(310هـ)، ومدرسة الكوفة التي من أعلامها الكسائي ت(189هـ)، الفراء ت(205هـ)، وثعلب ت(200هـ).

كثُرت المناظرات بين أقطاب الحاضرتين فازدهرت علوم اللغة واستوت على سُوقها لا سيّما النحو، فكانت المصنفات منها " كتاب سيبويه" الذي سَمّاه الناس "قرآن النحو" وكتاب "الفيصل" للكسائي ت(189هـ)، وغيرها.

1-1 الوضع السياسي والاجتماعي في القرن الرابع الهجري:

شهد العالم الإسلامي بداية من القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي حالة من التداعي والانقسام لم يعرف لها مثيل، حيث تمزَّقت أوصال الدولة العباسية وانكسرت

---

[1]- أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الأصالة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط 2010، ص: 170.

[2]- الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، السّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية - الجزائر 2007، ص: 399.

شوكتها، وتفتَّتت قوتها وزالت هيبتها، فأصبحت من الضّعف محل أطماع وتكالب القوى الخارجية، وبسَط الأتراك نفوذهم وهيمنتهم على دواليب السلطة، ففقدت الإدارة المركزية في بغداد كل مقوِّمات وجودها، فأضحت أثرا بعد عينٍ، عاجزة عن تسديد رواتب الجند، وموظفي البلاد : " فالدولة العباسية بلغت شبابها في أيام الرشيد والمأمون، وهو العصر العباسي الزاهر، ثم أخذت بعدها في الانحدار نحو الكهولة والشيخوخة"[1].

وقد عمّ التطاحن على السلطة بين الأمراء والسلاطين، وكثرت الاغتيالات، والعزل وبرزت دويـلات صغيــرة لا تدين بالولاء للعباسيين، إلا بالاسم، حَكَمها أمراء ضعفاء، دبّ بينهم التناحر، وانغمسوا في اللهو والمجون، فعدم استقرار الحكام على رأس السلطة هو السِّمة البارزة في هذا القرن، ذكر المسعودي:" وبويع المستكفي بالله، وهو أبو القاسم عبد الله بن علي المكتفي يوم السبت لثلاث خلون من صفر، سنة ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة، وخلع في شعبان سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة لسبع بقين من هذا الشهر، فكانت خلافته سنة وأربعة أشهر إلا أياما"[2].

فالواضح من رواية المسعودي أن الحالة السياسية سارت نحو التّعفن والانغلاق، وأنّ الاستبداد وَّلد الضعف والاضمحلال، فتشكَّلت إمارات هنا وهناك في مشرق الدولة العباسية ومغربها، يقول المستشــرق الألماني كارل بروكلمان: " تحرَّر المغرب من سلطان العباسيين واستقل استقلالا تاما، ابتداء من سنة 800 م، حيث استولى على المغرب أمراء الأغالبة والرستميين، والأدارسة"[3]

فالتّشرذم الذي طال دولة بني العباس، انعكس بشكل جليٍّ على الحياة الاجتماعية التي تأثرت أيَّما تأثر بهذا الوضع، فانتشر الفقر والبؤس، وعمَّت الفوضى والفتن فأصبح اللاأمن يهدِّد الأفراد والجماعات، إذ لم يعد في مقدور دار الخلافة في بغداد التحكم في زمام الأمور، حيث أرهقت وطأة الجبايات والأتاوات كاهل الأفراد والجماعات، وهذا بسبب تراجع مداخيل الدولة، وتعطل ديوان الخراج عن العطاء بسبب العصيان العام الذي ساد البلاد، واستيلاء السلاطين على الممتلكات وأموال الرَّعية، وفي هذا الشأن يقول الأستاذ أحمد أمين:

---

[1]– جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، الجزء الأول، ص : 354.

[2]– المسعودي أبو الحسن على بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وضبط الدكتور عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية 2010، الجزء الرابع، ص: 54.

[3]– ينظر كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، دط ، ص: 246، 247.

" وشاع بين الناس" من هلك فلسيف الدولة ما مَلك" ولذلك اجتهد الحكام أن ينكروا الوراثة ويجعلوا من مات، مات من غير وارث يستولي على تركته"[1].

إجمالا فإنّ القرن الرابع الهجري، لم يكن بأحسن حال في حياة العرب والمسلمين فهو عصر الانقسامات السياسية، والفتن، والتّردي الاقتصادي والاجتماعي.

1-2 الحياة العلمية عند العرب في هذا القرن:

إذ كان زمن الأُبَّهة السياسية قد ولّى، فإن زمن الأبهة العلمية قد حلَّ بحلول هذا القرن، الذي يتقاطع تقريبا مع العصر العباسي الثالث، من الجانب التاريخي، فهو يمثل الحقبة المضيئة التي أنارت بإشراقها ربوع بلاد العرب، وما من شكٍّ أنَّ القَدَر قد ساق لهذا العصر أسباب النضوج والنهضة العلمية، هذا النضوج لم يبلغه العرب حتى في أيام القوة والغلبة السياسية، وفي هذا الشأن يعلّق الأستاذ أحمد أمين بقوله :" ولئن عُدَ هذا ضعفا من الناحية السياسية، فإنّه لاُ يعدُّ ضعفا من الناحية العلمية، فالمملكة الإسلامية في القرن الرابع الهجري كانت أعلى شأنا في العلم من القرون التي كانت قبلها"[2].

فالعصر العباسي الأول عرف ميلاد نهضة علمية واعدة تبعه فتور في العصر العباسي الثاني، لأن رجال الدولة العباسية اشتغلوا بأنفسهم عن تمجيد وتنشيط المسرح العلمي، وما إن حلّ العصر العباسي الثالث حتى عادت هذه الحركة إلى الانتعاش والرُّقي."[3]

وقد تهيّأت لهذه العزة العلمية أسباب ودواعي، إذْ لم يَعد من باب الصُّدف أن يبلغ العلم أوجه إلا بتظافر عوامل موضوعية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، التنافس القائم بين السلاطين في تلك الفترة على استمالة العلماء والأدباء للالتفاف حولهم رغبة منهم في تقوية وتثبيت دعائم ملكهم، يقول الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي: " وكانت عجلة التقدم العلمي لا تزال دائرة في عصر الدُّويلات فكانت عهودها خيرا وبركة على العلم

---

[1]- أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 2007، الجزء الثاني، ص: 12.

[2]- المرجع نفسه، الجزء الثاني، ص: 7.

[3]- ينظر جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ، دط ، الجزء الثاني، ص: 392، 393.

والعلماء، والأدب والأدباء، بما رأى القائمون على أمر هذه الدول من ملوك ووزراء، أن التفاف الشعراء والكتاب والعلماء حولهم مظهر من مظاهر السلطان"[1].

وثمّة أمر آخر هو انتشار المد العلمي والثقافي الوافد عن طريق احتكاك العرب بالأمم التي تجاورهم، الضَّاربة جذورها في العلم والحضارة، كالفرس والهنود واليونان والترك فحدث تفاعل علمي وثقافي لم يسبق له مثيل، أخذا وعطاءً، تأثيرا وتأثرا، فازدهرت حركة الترجمة، وتمَّ نقل التراث العريق لهذه الشعوب إلى العربية،: " ومما ساعد العرب في التوسع في العلوم أنّهم حينما فتحوا بلاد فارس والشام، رأوا فيها خزائن من العلوم اليونانية، قد نُقلت إلى اللغة السريانية فنقلوها إلى اللغة العربية، وخاصة ما لم يكن نُقل من قبل، ثم أخذوا يدرسونها، وساروا بها إلى الأمام"[2].

ففي هذا العصر اكتملت العلوم جميعها، وبلغت الحضارة مبلغا عظيما، ومجدا أثيلا يقول الأستاذ جرجي زيدان: " وأما عصر الإسلام الذهبي للعلم خاصة، فهو العصر الذي نحن بصدده، أو المائة الثالثة للدولة العباسية، لأنّه نضجت فيه العلوم على اختلاف موضوعاتها، وتم نموُّها، وظهرت الكتب الوافية في أكثرها، ولا سيّما في اللغة وعلومها، وفي التاريخ والجغرافيا، والأدب والفلسفة"[3].

وحفل القرن الرابع الهجري بنوابغ العلم، والأدب، والفلسفة والفن، وقد أردف جرجي زيدان في معرض حديثه عن هذا الموضوع بقوله :" فأقبل العصر العباسي الثالث، وقد نبغ المفكرون والمشتغلـون في العلم والأدب من الشعراء والأدباء، والمنشئين والمؤرخين والجغرافيين واللغويين، والفلاسفة في مدائن كثيرة من المملكة الإسلامية"[4].

وكما تقدّم سالفاً فإن العصر عصر يقظة علمية فائقة التقدم، تم فيها استيفاء كل مقوِّمات النهضة والتحضر، بفضلها تجاوز العرب السنين العجاف، وأسسَّت لمرحلة شهدت العجب العجاب منذ نشأة المدنية عند العرب، إلى يوم الناس هذا، فلو استمرت لكان واقع العرب غير الذي نعيشه، :" على كل حال لَوْ سار العلم على طول الخط، كما سار في

---

[1]– الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، من أعيان الشيعة أبو علي الفارسي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة القاهرة - جمهورية مصر العربية، ص: 33.

[2]– أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، الجزء الثاني ، ص: 140.

[3]– جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الثاني ، ص: 389.

[4]– المرجع نفسه ، ص: 392.

القرن الرابع الهجري، لكان شأننا غير شأننا اليوم، ولكان منَّا المخترعون والمبتكرون، ولكن الجمود من جانب والظلم من جانب، أماتا النفوس وجعل اليقظة صعبة"[1].

وقد طبـع هذا القـرن بروز باقـة من جهابذة العلماء والأدباء والفلاسفة الذين ذاع صيتهم، واخترقت شهرتهم الآفاق، كان في طليعتهم الشاعر الفحل الخالد أبو الطيب المتنبي ت(354هـ)، وأبو فراس الحمداني ت(357هـ) وفيلسوف الإسلام الفارابي ت(339هـ)، ومن النحاة أبو علي الفارسي ت(377هـ)، وأبو الفتح عثمان بن جني ت(392هـ) الذي نحن بصدد بحث ودراسة أثره، ومن الأدباء بديع الزمان الهمذاني، والصاحب بن عباد، ومن المفسرين العلامة الزمخشري والإمام الطبري ت(310هـ) ، ومن أمراء البلاغة والبيان أبو هلال العسكري ت (395هـ)...الخ"[2].

ويعقب الدكتور فاضل صالح السامرائي بقوله: " نرى من هذا الاستعراض العاجل أن هذا القرن حاشد بأبرز رجال العلم والأدب والفن، وأن الناحية العلمية، قد تطورت تطورا بعيدا، وخطت خطوات واسعة على عكس ما شاهدناه في النواحي السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، التي تردَّت تردِّيا بالغا"[3].

1-3-الوضع الدِّيني في القرن الرابع الهجري:

الواقع أن الدولة العباسية منذ تأسيسها على يد السفاح سنة 132هـ، كانت تدين بالولاء المطلق لمذهب أهل السنة والجماعة، الذي كان منبعه الإسلام الصَّافي، فهو منهج متكامل للمسلمين جمعاء على اختلاف أجناسهم، ولم يكن مجرّد أحكام تتعلق بطقوس وشعائر الصلاة والزكاة، وفي القرن الثاني الهجري، جاد الزمان بثلة من الفقهاء، حفظوا لهذه الأمة دينها، فانتشروا في الآفاق وأصَّلوا لهذا المذهب فجمعتهم الأصول وفرّقتهم الفروع التي فرضتها المصلحة العليا للإسلام، هذه الفروع التي كانت فضاء رحبا جعله الله فسحة للاجتهاد البشري، ورحمة للعباد.

---

[1]– أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، الجزء الثاني ، ص: 180.

[2]– ينظر الدكتور فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي نقلا عن " أطلس التاريخ الإسلامي"، القرن الرابع الهجري، دار عمار، **عمان** - المملكة الأردنية الهاشمية ، الطبعة الثانية ، 2009 ، ص: 18.

[3]– المرجع نفسه، ص : 18.

ومن هؤلاء الأعلام الأفذاذ الإمام أبو حنيفة النعمان المتوفى سنة: 150هـ الذي ساد مذهبه بلاد العراق وباكستان، والإمام مالك بن أنس المتوفى سنة 179هـ، والذي بسط نفوذه في بلاد المغرب وبلاد الأندلس، والإمام الشافعي المتوفى سنة 204هـ والذي دانت له بلاد مصر والشام، والإمام أحمد بن حنبل المتوفي سنة 241هـ، والذي انتشر في غالب بلاد الحجاز، فقد هبَّ المسلمون إلى اعتناق هذه المذاهب السمحاء فعاشوا ردْحا من الزمن في كنف الأخوة والتسامح.

وفي خضم هذا الاستقرار الديني، وبدافع من دعاة الزيغ وطوائف الضلالة، وملل الفساد التي تسللت إلى المسلمين نتيجة تفاعلهم مع الأمم المنضوية تحت راية الإسلام، في هذا الجو نشأ علم الكلام، الذي أخذ على عاتقه مهمة المنافحة عن العقيدة الإسلامية والذَّود عنها، بالجدل العقلي، ولعل أخطر هذه الفرق الكلامية على الإطلاق فرقة المعتزلة، التي بلغت مجدها أيام المأمون والمعتصم ثم أفل نجمها وانكمشت بداية من تولّي الخليفة المتوكل سدة الحكم،:" ولما أفضت الخلافة إلى المتوكّل أمر بترك النّظر والمباحثة في الجدال والتَّرك لِما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق والمأمون وأمَر الناس بالتسليم، والتقليد وأمَر شيوخ المحدثين بالتحديث، وإظهار السنة والجماعة"[1].

إن التّقهقر الذي طبع حياة المعتزلة في العصر العباسي الثالث، كان مردُّه أمرين

الأمر الأول: تنصُّل الإمام أبي الحسن الأشعري المتوفّى سنة (333هـ)، وانشقاقه عن مذهب الاعتزال بعد أن قضى سنين طويلة في أحضانه، ينهل من فكره ويدين بالولاء له متزوِّداً بزاده فاكتسب مهارات الجدل والمنطق، ثم حمل عليه حملة شعواء أتت بنيانه من القواعد.

الأمر الثاني: المحنـة التي تعرَّض لهـا إمـام السُّنة أحمد بن حنبل – رضي الله عنه– على أيدي المعتزلة فيما يُعرف بمسألة خلق القرآن، هذه القضية صرفت أنظار العامة والخاصة عنهم تعاطفا مع ابن حنبل.

أما الشيعة الذين عاشوا القهر والاضطهاد في أيام بني أمية، وبني العباس، فإنهم وجدوا ميدانا خصبا عند آل بويه، وبني حمدان، خاصة أيام معز الدولة البويهي :" وفي هذه السنة كتبت العامة من الرَّوافض على أبواب المسـاجد ببغداد لعن الله معاوية بن أبي

[1]– المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الثالث ص: 264.

سفيان، ولعن من غَصب فاطمة فدك – يعنون أبا بكر رضي الله عنه– ومن أخرج العباس من الشورى – يعنون عمر رضي الله عنه– ومن نفى أبا ذر – يعنون عثمان رضي الله عنه – ومن منع دفن الحسن عند جده، يعنون مروان بن الحكم، ولما بلغ ذلك معز الدولة لم ينكره، ولم يغيره" [1]، " وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب فيه تشيُّع وميل إلى الروافض"[2]، ويقول العلامة عبد الرحمن بن خلدون في تاريخه :" وفي هذه السنة كتب الشيعة على المساجد بأمر من معز الدولة، لعن معاوية بن أبي سفيان صريحا، ولعن من غصب فاطمة فدك ، ومن منع أن يُدفن الحسن عند جده، ومن نفى أبا ذر الغفاري، ومن أخرج العباس من الشورى"[3].

ومما ساقه ابن الأثير من أحداث في سنة 352هـ :"وفي هذه السنة عاشر محرم أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم، ويبطلوا الأسواق، والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة ويلبسوا قبابا عملوها من المسوح، وأن يخرجوا النساء منشرات الشعور، مسوَّدات الوجوه، قد شققن ثيابهن يدرْن في البلد، بالنوائح، ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي رضي الله عنهما، ففعل الناس ذلك، ولم يكن للسُّنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة"[4].

على أيــّة حال فالانقسام المذهبي الحاصل بلغ منتهاه، واشتعل فتيل الفتن بين السُّنة والشيعة، وكان الذي غذّى هذه الفتن الطقوس التي ابتدعها الشيعة الرافضة التي لا قبل للمسلمين بها من قبل، وما أنزل الله بها من سلطان، حيث أباحوا سبّ الصّحابة – رضي الله عنهم– صراحة على المنابر، وفي الأماكن العامة، الأمر الذي أثار حفيظة السُّنيين وكان ردُّ فعل ذلك الاقتتال الشديد، بين الطرفين واستباحة الدماء والأعراض والأموال، قال ابن كثير :" ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، في العاشر محرم منها عملت الرافضة عزاء الحسين، كما تقدّم في السنة الماضية، فاقتتل الروافض وأهل السنة في هذا اليوم قتالا شديدا، وانتهبت الأموال"[5].

---

[1]– ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق جودة محمد جودة، محمد حسني شعراوي، دار ابن الهيثم، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، الجزء السادس، ص: 182.

[2]– المصدر نفسه ، ص : 182.

[3]– عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ، 2006، المجلد الرابع ص : 530،529.

[4]– ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعـة السادسة، 1986، الجزء السابع، ص:7.

[5]– ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السادس ، ص: 185.

2- 1 التّعريف بشخصية أبي الفتح عثمان بن جني:

من أعلام اللغة، وجهابذة النحو، وفلتة من الفلتات التي جاد بها القرن الرابع الهجري " أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، كان أبوه مولى روميا، وربّما كان اسمه جنّي تعريبا لكلمة GENNAIUS اليونانية"[1]، :"وتعني هذه الكلمة النّبل والكرم والإخلاص والعبقرية.[2]

يقول الدكتور عبد الحكيم بن محمد:" هو أبو الفتح عثمان بن جني بكسر الجيم وتشديد النون، وبعدها ياء مشددة، الموصلي النحوي المشهور"[3]

وثمّة تباين كبير، واضطراب في الراويات بين المؤرخين، وكُتَّاب السيّر والتراجم حول السنة التي ولد فيها أبو الفتح، فذهب السُّيوطي إلى أن: " مولده قبل الثلاثين وثلاثمائة ومات لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة" [4].

ويؤيِّد صاحب الفهرست الرَّأي السالف، إذ يجعل مولده قبل الثلاثين وثلاثمائة، :" هو أبو الفتح عثمان بن جني (النحوي) مولده قبل الثلاثين والثلاثمائة"[5].

أما الدكتور شوقي ضيف، فيذكر أن جنّيا أبا عثمان الموصلي " قد ولد له ابنه عثمان حوالي سنة عشرين وثلاثمائة"[6].

ومن هنا فإن ضبط وتحديد السنة التي ولد فيها أبو الفتح عثمان بن جني قد أخذ اتجاهين:

الاتجاه الأول: يجعل مولده قبل سنة الثلاثين والثلاثمائة، دون تحديد، يمثله ابن النَّديم والسيوطي.

الاتجاه الثاني: يجعل مولده سنة عشرين وثلاثمائة، يمثله الدكتور شوقي ضيف.

---

[1]- شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف القاهرة - جمهورية مصر العربية ، الطبعة السابعة ، ص: 265.

[2]- ينظر محمد علي النجار، مقدمة المحقق ضمن كتاب الخصائص، المكتبة العلمية ، مصر، د ط 1985، الجزء الأول ، ص: 2.

[3]-الدكتور عبد الحكيم بن محمد، مقدمة المحقق ضمن كتاب الخصائص، المكتبة التوفيقية ، الباب الأخضر - سيدنا الحسين، الجزء الأول ، ص : 9.

[4]- السيوطي الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية ، 1989، الجزء الثاني ، ص : 132.

[5]-ابن النديم محمد بن اسحاق ، الفهرست ، دار إحياء التراث العربي، بـروتـب - لبنان، الطبعة الأولى، 2006، الجزء الأول ، ص: 95.

[6]- الدكتور شوقي ضيف، المدارس النحوية ، ص : 265.

وأيا كان الاختلاف، فالنتيجة هي أن أبا الفتح ولد قبل انقضاء الثلث الأول من القرن الرابع الهجري.

والظاهر أن العلامة أبا الفتح عثمان بن جني قد تبوَّأ مركزا هاما بين معاصريه، :" وكان من أحذق أهل الأدب، وأعلمهم بالنحو، والتصريف، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو، وكان يقول الشعر وله أشعار حسنة"[1].

وقد ترك أصله الرومي انطباعا حسنا، واعتزازا قويا بانتمائه إليه،: " وكان أبوه جنِّي مملوكا روميا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي، وإلى هذا أشار بقوله في جملة أبيات.

فإن أصبـــحْ بلا نسب فعلمي في الورى نسبي
علـــى أنـّي أؤول إلى قُروم ســـادة نجب
قياصـــرة إذا نطقـوا أرم الدهر ذو الخطـب
أولاك دعا النبـــي لهم كفى شرفا دعـاء نبي[2]

ومما يذكر عن أبي الفتح عثمان بن جني، أنّه كان أعور، وفي ذلك يقول شعرا، معاتبا أحد أصدقائه على تعييره بالعور.

صُدودك عني ولا ذنب لي يدل على نيـــَّة فاسدة
وقد وحيا تك مما بكيت خشيت على عيني الواحدة
ولولا مخافة أنْ لا أراك لما كان في تركـها فائدة[3]

2-2- نشـــأة أبي الفتح عثمان بن جنـــي:

الذي لا خلاف فيه أن ابن جني ولد بالموصل، ونشأ بها وترعرع، وأخذ العلم عن مشايخها ولما ظهرت عليه النجابة والفطنة والذكاء، عهد به أبوه إلى حلقات العلم، لينهل من

---

[1]- ابن جني أبوالفتح عثمان ، كتاب الخصائص، تح الدكتور عبد الحكيم بن محمد ، المكتبة التوفيقية، دط ، ص: 9.

[2]- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تح الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت - لبنان، المجلد الثالث ، ص : 246.

[3]- المصدر نفسه ، ص : 246.

ينابيعها العذبة :"ويبدو أنه رأى فيه مخايل ذكاء، فدفعه إلى التعلم، ولم يلبث أن منح عنايته لعلوم اللغة، فأكبّ على دروس أحمد بن محمد الموصلي مواطنه"[1]

وقد أظهر ابن جني عناية فائقـة ببنيـه حيث علّمهم، وأدبَّهم، وأسبل عليهم موفور الرعاية :"وكان لابن جني من الولد علي، وعال ، وعلاء، وكلّهم أدباء فضلاء قد خَّرجهم والدهم، وحسَّن خطوطهم فهم معدودون في الصَّحيحي الضبط، وحَسَنِي الخط"[2]

ولم يقف به طموحه إلى الجلوس للدراسة في مسقط رأسه بالموصل ،بل سافر إلى بغداد، دار السلام وموئل العلم آنذاك،: "وأغلب الظن أنه نزل بغداد مبكرا، ففي تصانيفه تكرار لذكر بعض تلاميذ المبَّرد، مثل محمد بن سلمة، وبعض تلاميذ ثعلب مثل ابن مقسم، غير أنه سرعان ما عاد إلى الموصل، وأخذ يدرِّس الطلاب في مسجدها"[3].

ولا يمكن الحديث عن شخصية ابن جني دون التعريج على شخصية فذّة تركت بصماتها في حياته،شخصية أبي علي الفارسي شيخه الذي لازمه أربعين سنة،: "صحب أبا علي الفارسي، وتبعه في أسفاره، وخلا به في مقامه، واستملى منه، وأخذ عنه، وصنّف في زمانه، ووقف أبو علي على تصانيفه واستجادها"[4].

ومما يدلُّ على علوِّ مقامه، وتضلُّعه في العلوم لا سيَّما علوم اللغة، اتصاله بشاعر العرب الخالد أبي الطيب المتنبي، الذي كان شغوفا بأبي الفتح أيَّما شغف، يقول الثعالبي: "هو القطب في لسان العرب وإليه انتهت الرياسة في الأدب، وصحب أبا الطيب دهرا طويلا، وشرح شعره، ونبَّه على معانيه وإعرابه، وكان الشعر أقل خلاله، لعظم قدره، وارتفاع حاله"[5]

وكان دأْب سلاطين آل بويه استمالة العلماء، والأدباء، وأهل الفن والنبلاء، رغبة منهم في تعزيز ملكهم وتقوية أواصر دولتهم، وقد كان حظ ابن جني التبجيل والتوقير من هؤلاء، فعاش بينهم زمنا عزيزا كريما: "وخدم أبو الفتح ابن جني البيت البويهي: عضد الدولة

---

[1]– شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ص : 265.

[2]– ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، الجزء السابع (Islamicbook.Ws)، 2010، ص18.

[3]– المرجع السابق ، ص : 265.

[4]– القفطي جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف ، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية، الطبع الأولـى 1986، الجزء الثاني ص:336.

[5]– الثعالبي أبو منصور عبد الملك النيسابوري، يتيمـــة الدهر في محاسن أهل العصر، تح الدكتور محمد أحمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى 1983، الجزء الأول، ص: 137.

وولده صمصام الدولة، وولده شرف الدولة، وفي زمانه مات، وكان يلازمهم في دُورهم، ويبايتهم ".[1]

2-3 صفات وأخلاق أبي الفتح عثمان بن جني:

تحلّى ابن جني بأدب جمٍّ، أهَّله لأن يتبوّأ المكانة المرموقة، والمنزلة الرفيعة بين معاصريه ولاحقيه، فقد كان ذا أمانة، ووفاء لشيوخه، منضبطا في نقل آرائهم، لا يساوره الشك في الإيمان بأفكاره،:" وكان وفيّا لشيوخه، ولاسيّما أبي علي الفارسي، فهو يذكره بالإعجاب، والثناء الحسن والترحم عليه، والترضي عنه، وكان متّسما بأخلاق العلماء، في البحث، لا يستكبر أن يسأل شيخه أو أن يكتب له"[2]

وأما إقناع القارئ فهو صفة بارزة في تصانيف وآثار الرجل، " وكان ابن جني يكثر من إيراد النظائر والأمثال، حتى يقتنع القارىء بوجهة نظره"[3]

وقد كان يحمل لأصدقائه وفاء منقطع النظير، فهو معجب بهم، يجلُّهم ويوقّرهم، حيث إنه صادق المتنبي وتوثّقت عرى المحبة بينهما :" اجتمع ابن جني بالمتنبي بحلب، عند سيف الدولة بن حمدان، وفي شيراز عند عضد الدولة"[4]

ورحابة الصّدر لزمت ابن جني مع أخلائه ومناوئيه، خاصة إذا تعلق الأمر بالعلماء والخاصة :" وابن جني بعد ذلك أرحب صدرا، يقيم الاحتجاج لقراءة حمزة، ويوافقه في قراءة الآية الكريمة ﴿ **واتقوا اللهَ الذي تسّاءلون به والأرحامَ**﴾ **سورة النساء الآية 1**"[5]

ورغم التعلق الشديد الذي أبداه ابن جني اتجاه شيخه أبي علي الفارسي، فإن المسائل الخلافية بينهما يظهرها في أدب ولباقة لا يحسها القارئ المتمرس، :" وغير خاف ما يظهر عند ابن جني من الاستطراد في بحوثه، ولكنه يفترق عن الشيخ فيه، فاستطراد ابن جني يضمّ موضوعات مترابطة، لا كما يظهر عند الشيخ من الاستطراد لأدنى ملابسة، تنسيك الموضوع الأصل الذي ، يتحدث فيه وتطغى عليه"[6]

---

[1]– القفطي، إنباه الرواة، الجزء الثاني ص: 340.

[2]–فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي ، ص : 29.

[3]– محمد حدوراة ، جذور النظرية السياقية في التراث اللغوي العربي الخصائص أنموذجا ، مذكرة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت ، 2006 - 2007 ، ص: 07.

[4]–عبد الحكيم بن محمد ، مقدمة كتاب الخصائص ، الجزء الأول ، ص 12.

[5]– ينظر الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، من أعيان الشيعة أبو علي الفارسي ، ص : 647.

[6]– نفسه، ص : 654.

2-4 أبو الفتح عثمان بن جني ثقافته:

أبو الفتح عثمان بن جني فريد زمانه، وقطب عصره، في سعة الثقافة، وغزارة العلم كانت له القدم الراسخة وبلغ النهاية القصوى، في تحصيل علم الأصوات والنحو والتصريف فهو حجة لمن قبله، ومعجز لمن بعده، برع في علم التصريف فكان له باع طويل فيه ارتشف من منهله كل دارس واستقى من روافد علمه كل باحث،: " والقسط الأكبر من نشاط ابن جني إنَّما كان في علم التصريف ودفعته رغبته في التعمق فيه إلى أن يقرأ على أستاذه الفارسي كتاب التصريف للمازني، الذي كان يعد أنفس ما أُلّف في هذا العصر، حتى عصره"[1]

وابن جني شعلة من ذكاء، عبقري، فطن، بلغ من المواظبة والاعتكاف في طلب العلم المبلغ الأوفى، والمقصد الأسمى، والحقيقة التي لا غبار عليها هي أن الباري عزوجل قد خصُّه بالنجابة وغرس فيه بفضله وَمنِّه، حبَّ العلم والانقطاع له، بَدَّ بها أقرانه، فكان جديرا مستحقا لعلو المقام، ومما ساهم في وصوله إلى قمة المجد والسؤدد، تتلمذه على يد نخبة من الشيوخ، الذين كان لهم الفضل في تدريسه، وكان له الشَّرف في الأخذ عنهم، ومن هؤلاء أبو علي الفارسي، الذي سبق الحديث عنه، وأبو عبد الله الشجري، وشيخه الأخفش الذي أخذ عنه علم النحو:" وقد أخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش"[2].

ومن العلماء الذين تأثر بهم بالقراءة والتحديث أبو سعيد السيرافي والرّماني ،حتى صارفي عصره أنبغ وأعظم نحاة بغداد[3].

جلس ابن جني للتدريس في كل مكان حلّ فيه، في الموصل مسقط رأسه، وفي بغداد، حيث تلقى العلم في حلقاته جمع من التلاميذ كالشَّريف الرضي، وعمر بن ثابت الثمانيني، وأبو أحمد عبد السلام البصري"[4]، ولا خلاف بين الباحثين في أن ابن جني كان من روّاد المدرسة البغدادية، التي تأخرت زمنيا عن مثيلتيها في البصرة و الكوفة، هذا الاتجاه ظهر في بغداد حاضرة التمَّدن والعلم آنذاك، وأسس لمنهج جديد، ولد من رحم هاتين

---

[1]- شوقي ضيف، المدارس النحوية ، ص :266.

[2]- عبد الحكيم بن محمد ، مقدمة تحقيق كتاب الخصائص ، ص:11.

[3]-ينظر محمد فهمي حجازي ، علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ص: 90.

[4]- ينظر ابن جني النحوي ، فاضل صالح السامرائي، ص: 89 ، 90، 91.

المدرستين، مستقلا فكريا في حركة الاستنباط والشرح بقواعد اللغة، وقد اعتبـر الدكتـور عمر فروخ ابن جني جامعا لتوجهات الفريقين، ينهل من هذه المدرسة ومن تلك ،: "كان ابن جني إماماً في اللغة، والنحو، ومن أحذق أهل الأدب، وأعلمهم بالتصريف، وموقفه وسط بين الكوفيين والبصريين"[1]

ولكن الدكتور شوقي ضيف يقف معارضا لهذا المنحى، ويعتبر أبا الفتح بصريا خالصا :" فهو بغدادي من طراز آخر، طراز أستاذه أبي علي الفارسي والزجاجي، طراز كان ينزع إلى البصريين وهو الطراز الذي عمَّ وساد منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري"[2].

ويدعِّم شوقي ضيف رأيه بقوله :" نستطيع أن نرجع إلى الآراء المنثورة لابن جني في كتاباته المنشورة، وفي المراجع النحوية، فسنراه يطبق هذا المنهج تطبيقا دقيقاً"[3].

وقد اقتفى أبو الفتح أثر شيخه أبي علي الفارسي معتنقا مذهب الاعتزال،: " وكان من ضمن أدباء المعتزلة قوم من أحرار النّحويين، دعوا إلى القياس في اللغة ومن أعلامهم، أبو علي الفارسي، وتلميذه ابن جني"[4].

كما تظهر نزعة الاعتزال واضحة في آثار ومصنفات ابن جني خاصة ضمن مدونة الخصائص يقول في هذا الكتاب: " الحمد لله الواحد العدل القديم"[5]، ثم إن ابن جني يخصّص بابا سماه" الحكم يقف بين الحكمين"، هذا فصل موجود في اللغة العربية لفظا، وقد أعطته مقادا عليه وقياسا وذلك نحو كسرة ما قبل ياء المتكلم، في نحو غلامي وصاحبي، فهذه الحركة لا إعراب ولا بناء"[6].

وهذا إسقاط واضح للمنزلة بين المنزلتين، فالعدل والمنزلة بين المنزلتين من الأصول الثابتة للاعتزال.

والنتيجة المُتوصل إليها أن ابن جني إمام، لغوي، نحوي، بغدادي، ذو نزعة بصرية.

---

[1]– عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة 3، 1980،الجزء الثاني، ص: 657.

[2]– شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ص : 268.

[3]– نفسه ، ص : 268.

[4]– أحمد أمين، ظهر الإسلام ، الجزء الرابع ، ص : 15.

[5]– ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص : 15.

[6]– المصدر نفسه ، الجزء الثالث، ص:241.

أما أسلوبه في التأليف فهو يجمع الأناقة، وجمال العبارة إلى الدقة والوضوح والانسجام وحسن السّبك، والتعبير بأرقى صور الأداء،: " بلغ أبو الفتح في علوم العربية من الجلالة والخطر، ما لم يبلغه إلا القليل، واشتهر ببلاغة العبارة، وحسن تصريف الكلام، والإبانة عن المعاني بأحسن وجوه الأداء، وهو يسمو في عباراته، ويبلغ بها ذروة الفصاحة، في المسائل العلمية الجافة، البعيدة عن الخيال ووجوه النظرية"[1].

فأسلوبه في غاية الأناقة ، ويمتاز بتمام النظام والانسجام، وهو في انتقاله من فكرة إلى فكرة ومن موضوع إلى موضوع ينتقل بطريقة تبهر الأبصار"[2].

2-5- تصانيف وآثار أبي الفتح عثمان بن جني:

ليس لأحد من أئمة اللغة، والنحو من المؤلفات، ما لأبي الفتح عثمان بن جني، فقد صَنف في علم اللغة، والأصوات والتصريف والنحو، وأثرى المكتبة العربية، بكمٍّ هائل من المعارف أضحت معينا لا ينضب لكل دارس للّغة، وكلّ طالب للعلم، وقد اعتمدت في تقديم آثاره على مجموعة من المصادر والمراجع منها: – ذَكر ابن خلكان لابن جني المصنفات التالية:

- كتاب الخصائص.
- سر صناعة الإعراب.
- المنصف في شرح تصريف أبي عثمان المازني.
- التلقين في النحو.
- التعاقب.
- الكافي في شرح قوافي الأخفش.
- المذكر والمؤنث، المقصور والممدود.
- المنهج في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة.
- المسائل الخاطريات.

---

[1]– عبد الحكيم بن محمد ، مقدمة تحقيق كتاب الخصائص ،ج1، ص :12.

[2]– ينظر، جيوم، كولوغلي،التراث اللغوي العربي ،ترجمة الأستاذ الدكتور محمد حسن عبد العزيز، والدكتور كمال شاهين، دارالسلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - مصر،الطبعة الثانية، 2012، ص: 42.

- التذكرة الأصبهانية.
- مختار تذكرة أبي علي الفارسي.
- المقتضب في المعتل العين.
- اللمع، التنبيه، المهذب، التبصرة[1].

ومما ورد في كتاب الفهرست لابن النديم:

- كتاب المعرب.
- كتاب الفصل بين الكلام الخاص والعام.
- كتاب العروض والقوافي.
- كتاب الوقف والابتداء.
- كتاب الألفاظ من المهموز.
- كتاب تفسير المراثي الثلاثة، والقصيدة الرائية للشريف الرضي.
- كتاب معاني أبيات المتنبي[2].

وقد ذكر القفطي في الإنباه لابن جني:

- كتاب هذا القدّ.
- كتاب الصبر في شرح شعر الهذليين.
- كتاب المنهج.
- كتاب إعراب الحماسة[3].

وذكر السّيوطي في بغية الوعاة بعض كتب ابن جني:

- محاسن العربية.
- المحتسب في إعراب الشواذ.

---

[1]– ابن خلكان ، وفيات الأعيان، الجزء الثالث ، ص :247.

[2]– ابن النديم ، الفهرست، الجزء الأول ، ص : 95.

[3]– القفطـــــي، إنباه الرواة ، الجزء الثاني ، ص : 347.

- شرح الفصيح[1].

ومن الآثار الواردة في مقدمة كتاب سر صناعة الإعراب:

- التنبيه في الفروع.

- التصريف المملوكي.

- المنتصف في النحو.

- كتاب الخطيب.

- تفسير أرجوزة أبي نواس[2].

2-6 المنزلة العلمية لأبي الفتح بن جني:

توفّرت في ابن جني عوامل النجاح من داخل ذاته استعداداً واكتسابا، وبذلك ملك الدُّنيا وشغل الناس، وبفضل ذلك حظي بهذه المكانة المتميزة التي لم ينلها إلا القليل.

وصفه القفطي في إنباه الرواة بقوله " ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ما لَه، ولاسيّما في علم الإعراب، فقد وقع منها على ثمرة الغراب"[3].

وأثنى عليه الثعالبي في يتمية الدهر إنَّ أبا الفتح كان شاعرا مُجيدا مُقلا، وذكر له أبيات منها:

وجود المنى أن لا يكاثر بالمنى ونيل الغنى أن لا يكاثر بالغنى

ومن كان في الدنيا أشدَّ تصوراً تجده عن الدنيا أشدَّ تصـوُّنا[4]

نال ابن جني ثقة أستاذه أبي علي الفارسي منذ نعومة أظافره، فقد ورد في الوفيات أنه " قعد للإقراء بالموصـل، فاجتاز بها شيخه أبو علي، فرآه في حلقته، والناس حوله يشتغلون عليه، فقال له، " زَبَبْتَ وأنت حَصْرَم" فترك حلقته، وتبعه ولازمه، حتى تمهّر"[5].

---

[1]– ينظر السيوطي ، بغية الوعاة ، الجزء الثاني ، ص : 132.

[2]– ينظر محمد فارس ، مقدمة سر صناعة الإعراب ، تح محمد حسن ، محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، سنة 2000، المجلد الأول، ص : 7،8.

[3]– القفطي ، إنباه الرواة ، الجزء الثاني ، ص : 338.

[4]– الثعالبي ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، الجزء الأول ، ص : 138.

[5]– ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، المجلد الثالث ، ص : 246.

أظهر ابن جني كفاءة عالية في إعداد التصانيف الجليلة:" وصنَّف في ذلك كتبا أبرَّ بها على المتقدمين، وأعجز المتأخرين، ولم يكن في شيء من علومه، أكمل منه في التصريف، ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاما منه"[1].

اجتمعت له ثقافة واسعة من خلال دراسته للمذاهب، وما استفاده من أستاذه أبي علي، إضافة إلى ما كان له من ثاقب النظر، ولطف الحس اللغوي، والاطلاع على كلام العرب"[2].

كان لأبي الفتح عثمان بن جني حظ لقاء شاعر العرب أبي الطيب المتنبي، حيث قرأ شعره وناظره وأعجب به الأخير، فأجلَّه، ولازمه، ردْحًا من الزمن: "وكان المتنبي حاضرا في كتب ابن جني فقد فسر شعره في كتاب " معاني أبيات المتنبي" حتى قال فيه :" هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس"[3]، وقال فيه أيضا معترفا، مقرا بفضله ناقدا بارعا، :" ابن جني أعرف بشعري منِّي"[4]

2-7- وفـــاة ابن جنـــي:

اتفق المؤرخون والمحقّقون، وأجمعوا على السّنة التي فاضت فيها روح أبي الفتح عثمان بن جني إلى بارئها، سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة للهجرة، يقول أبو الفداء في تاريخه ذاكرا الأعيان الذين توفُّوا في سنة 392هـ " وفيها توفي ببغداد عثمان بن جني النحوي الموصلي"[5].

ولعل التاريخ الدقيق لوفاة ابن جني كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر لاثنتين وتسعين وثلاثمائة، الموافق لسنة 1002 م، ودُفن ببغداد رحمه الله[6].

---

[1]- ياقوت الحموي، معجـم الأدبـاء ، الجزء الثـــاني عشـــر، ص: 18.

[2]- أد عبد المجيد عيساني، أصول وشواهد الاتجاهات النحوية، دار الكتاب الحديث، القاهرة - مصر، طبعة 2012، ص : 55.

[3]- الدكتور عبد الحكيم بن محمد، مقدمة تحقيق كتاب الخصائص، الجزء الأول، ص: 10.

[4]- فاضل صالح السامرائي، ابن جني النحوي، ص: 50/49.

[5]- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ، تاريخ أبي الفداء، تعليق محمود ديوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1997، الجزء الأول، ص: 482.

[6]- ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان ، المجلد الثالث، ص : 248.

الفصل الأول

البناء المعرفي والمنهجي لكتاب الخصائص

تقديم مدونة الخصائص.

البناء المعرفي للمدونة.

المواصفات المنهجية.

المكانة العلمية.

شواهد المدونة

المبحث الأول: تقديم مدونة الخصائص

مدوَّنة الخصائص من تصانيف أبي الفتح عثمان بن جني الفائقة التي اخترقت شهرتها الآفاق، وتداولتها الألسنة من كلّ حدبٍ وصوبٍ، تشتمل على مناقشات وتحليلات لغوية علمية ذات نفع جمٍّ، أخذت السَّبق في الدراسات اللغوية العربية، حتى أصبحت ملاذا للباحثين والأكاديميين، ينهلون من معارفها، ويستقون من منابعها، وتضمّ مدونة الخصائص إشارات وظلالا لسانية تؤكد بما لا يدع مجالا للشَّك سبق العرب في هذا الشأن.

- إن مؤلف الخصائص يحتوي على الكثير من الأنظمة اللغوية، أو ما يعرف بالمستويات التي تندرج ضمن علم اللغة الحديث، علم الأصوات، النظام الصرفي والتركيبي، المستوى المعجمي الدلالي، بالإضافة إلى تضلُّع صاحبها في أصول النحو، وتقديمه في ثوب مفصَّل.

- وإن مدونة الخصائص عالجت الجوانب الكلية والعامة للغة العربية، ولم تقف عند الجزئيات التي كان لسابقيه فيها الباع الطويل، صنَّفها ابن جني بين يدي بهاء الدولة البويهي احتفاء به واعترافا بفضله في تبجيل العلم، وتوقير العلماء، يقول ابن جني في مقدمته لهذا الكتاب :" هذا أطال الله بقاء مولانا الملك السيد المنصور المؤيَّد، بهاء الدولة وضياء الملّة، وغياث الأمة، وأدام ملكه ونصْره، وسلطانه، ومجْده، وتأييده وسموَّه، وكبَت شانئه وعدوه"[1].

- فهي مدونة تعالج حقائق وقواعد وآراء عامة تتعلق باللغة في مستوياتها المختلفة، يقع الكتاب في مائة واثنين وستين بابا حسب النسخة التي حققها الأستاذ عبد الحكيم بن محمد، يتناول فيها الكتاب الأنظمة اللغوية السالفـة بشكل متداخل يصعب على الدارسين الخوض فيها والفصل بينها، يقع في ثلاثة مجلدات ، ويربو على الألف صفحة.

- وهكذا تبوأت الخصائص هذه المكانة: " ولعلّ كلمة الخصائص أدَّل من معناها على مادة الدرس من تعبير فقه اللغة، لأنها تشير إلى القوانين العامة التي تنتظم اللغة دون أن يكون المقصود دراسة جزئيات اللغة تفصيليا"[2].

---

[1]– ابن جني، الخصائص، الجزء 1، ص: 6.

[2]– الدكتور عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة العلمية ، بيروت - لبنان، د ط ، ص:51.

- ويُعدّ الدكتور محمد علي النّجار من أبرز المحققّين الذين تناولوا هذه النسخة بالتحقيق والدراسة والتمحيص، بالإضافة إلى النسخة التي أعدَّها وحققها الأستاذ عبد الحكيم بن محمد لصالح المكتبة التوفيقية.

- كتاب الخصائص ينقّب عن الخصائص الكلية للغة العربية، والمباحث اللغوية العامة لها، يعرضه ابن جني في أبواب كما سبقت الإشارة إلى ذلك، لكنه يصنف مباحثه في أركان مستقلة عن بعضها، يبلغ التشتُّت ذروته في العرض، بحيث يصعب على القارئ العادي، بل على الباحث المتخصص جمع شمل هذه المسائل، فهو لا يفتأ يستطرد، وينتقل من موضوع لآخر، وهذا ما شكل عائقا للدارسين لكتب التراث عامة، وكتب ابن جني خاصة، ولعل أخصَّها الخصائص.

- وبقدر ما كانت مُدوّنة الخصائص مصدر لغويّ هام، فهي تعبير صادق وقوي لرؤية فلسفية، استطاع من خلالها ابن جنيٍّ تمرير تصوُّره العقلي الاعتزالي في معالجة الكثير من التخريجات اللغوية، وهذا ما أضفى عليها، وعلى سائرَ تصانيفه طابعا خاصا، حيث يعد من أكثر العلماء حرصا على توثيق الروابط المذهبية بالدراسات اللغوية.

- وأبو الفتح عثمان بن جني لغوي مجدِّد متحرِّر أثرى المكتبة العربية بمدونة الخصائص، التي مكّنته من أن يصبح أحد أعلام العرب المسلمين في علوم اللغة، :" وما يُدرس عنه في عصرنا الحديث عن أعماله، وجهوده العلمية لهو دليل كاف على مكانته ونبوغه"[1].

[1]– الأستاذ فريد داودي ، مجلة المصطلح ، جامعة تلمسان ، ص : 112.

المبحث الثاني: البناء المعرفي لمدونة الخصائص

مدونة الخصائص أجلُّ عملٍ لغوي صنّفه أبو الفتح عثمان بن جني بل لعله من أنفس ما وصلنا من كتب التراث، من حيث ضخامة العمل، وقيمته العلمية، أما من حيث الضخامة فلأن المصنَّف يقع في أكثر من ألف صفحة، موزَّعة على ثلاثة أجزاء، حسب النسخة المُحقّقة من قبل الدكتور عبد الحكيم بن محمد، أما القيمة العلمية، فإنها مدونة تراثية جامعة مانعة لكل أنظمة اللغة، ومستوياتها، وهي بحق تحقيق لساني حديث بأتمِّ معنى الكلمة.

وإذا أردنا الغوص في مضامين كتاب الخصائص، فإنه عالج كل الأنظمة التي تدخل في إطار الدرس اللغوي، اللغة، الصوت، الصرف، النحو في أسلوب ارتقى إلى قمة السلاسة والأناقة والانسجام، :"يمكن النظر حقيقة إلى هذا الكتاب الذي يعكس اهتمام مؤلفه الطاغي بالتصريف، على عدد من المستويات، كما يبيِّن الأسلوب المتأنق للكتاب، والذي يختلف عن أسلوب النثر البسيط المستخدم عادة في الأعمال العلمية"[1].

فمن هذا التعليق يظهر طغيان الدرس الصَّرفي على باقي الدراسات اللغوية والاهتمام الكبير الذي أولاه ابن جني لقضية الأسلوب الذي قدّم به مصنَّفه.

ولا يمكن بأي حال من الأحوال التعرض بالدراسة أيًّا كان نوع هذه الدراسة، لغوية أسلوبية، أو دلالية دون أن نتطرق إلى المادة العلمية التي تناولها الباحث في طيّات هذا المؤلَّف.

وقد ضمّ مؤلف "الخصائص" المستويات اللغوية التي تنطوي ضمن الدرس اللساني الحديث، في اللغة– في المستوى الصوتي– في علم الصرف– في علم النحو وأصوله.

1– قضايا تخص فقه اللغة:

1–1– مفهوم اللغة :

وضع ابن جني حدا للغة بأنها :" أصوات يعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم"[2]، ثم ذكر الجانب المعجمي لمادة لغة أي تكلم، وأن هذه الكلمة ذات صلة بكلمة " اللغو" مستشهدا

[1]– بوهاس، جيوم كلوغلي، التراث اللغوي العربي، ص:41.

[2]– ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول، ص:44.

بقوله تعالى ﴿**وَإذا مَرُّوا باللّغو مَروا كِراماً**﴾ **الآية 72 من سورة الفرقان**، وبحديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم " من قال في الجمعة صَه فقد لغا"[1].

1-2 - فرضيات نشأة اللغة :ملابسات نشأة اللغة الإنسانية حاضرة في الخصائص، وقد أفرد لها ابن جني بابا خاصا سماه " باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح"[2].

والحديث حول هذا الجانب مستفيض، تناوله الباحث بإسهاب معرِّجا حول كل الفرضيات، والنظريات التي صبَّت في هذا الحقل، فالعلماء انقسموا ثلاث فرق، فرقة قالت بالتوقيف، وفرقة قالت بالتواضع والاصطلاح ، وفرقة نادت بالمحاكاة.

أما أنصار التواضع والاصطلاح، فإن جَّل أهل الفكر والنظر حسبه من أنصار هذه النظرية، إذ المصلحة دعت اجتماع الحكماء والعقلاء في المؤسسة الاجتماعية إلى الاتفاق حول مُسَميات لأسماء يتداولها الناس لتحقيق التواصل، وقضاء المآرب، والحاجات، أما الرأي القائل بالتوقيف، فإن أبا الفتح عثمان بن جني يستند إلى رأي أستاذه أبي علي الفارسي الآخذ بهذه النظرية مستشهدا بالآية الكريمة ﴿ **وَعَلَّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها**﴾ **سورة البقرة الآية 31**، أي أن الباري عز وجل ألهم الإنسان الأول الذي خلقه على ظهر البسيطة، وسمّى له الأشياء المحيطة به، وسيدنا آدم عليه السلام لقنها لبنيه الذين تفرقوا في الآفاق شرقا وغربا.

وأما الرأي الثالث فالذي يقول بالمحاكاة ويؤيدها، محاكاة الأصوات،: " وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلّها إنّما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح، وحنين الرعد وخرير الماء، وشحيح الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي، ونحو ذلك ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد"[3].

وقد حلّل ابن جني فرضيات نشوء اللغة بكل موضوعية، فهو وقف مذهب التوقيف مذهب أستاذه، أبي علي الفارسي، ومذهب المواضعة والاصطلاح، ولم يمنعه اعتزاله من الوقوف ضد التوقيف، أما ما يخص المحاكاة فإنه وقف منها موقف المتقبل المستحسن.

---

[1]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول، ص:44.

[2]- نفسه، ص:51.

[3]- نفسه ، ص:56/55.

إن ابن جني لم يجزم بموقف واضح صارم من نشأة اللغة فهو يقول: " فأقف بيت تين الخلتين حسيرا، وأكاثرهما فأنكفئ مكثورا وإن خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف بإحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها قلنا به"[1].

1-3-الاشتقاق:

موضوع الاشتقاق حاضر في مدونَّة الخصائص، ولعل هذه الظاهرة مُطّردة في اللغات الإنسانية جميعا، لاسيما في اللغة العربية، فالاشتقاق في اللغة :" اشتقاق الكلام الأخذ فيه يمينا وشمالا، واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه، ويقال شقَّق الكلام إذا أخرجه أحسن مخرج"[2].

ويقول صاحب القاموس: "الاشتقاق أخذ شق الشيء، والأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا، وأخذ الكلمة من الكلمة"[3].

وقد خاض العلامة أبو الفتح عثمان بن جني في نوعي الاشتقاق الأصغر والأكبر فأما الاشتقاق الأصغر فلم يخرج عن الدائرة التي رسمها سابقوه من العلماء، في كونه أخذ فرع من أصل يجتمعان في المعاني، :" فالأصغر ما في أيدي الناس وكتبهم، كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقراه، فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيَّغه ومبانيه، وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة، في تصرفه نحو سلم ويسلَم وسالم وسلمان، وسلمى والسَّلامة"[4].

وقف ابن جني موقف الاعتدال من الاشتقاق الأصغر، فهو يعتبر أن بعض الكلام مشتق، وبعضه غير مشتق، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة، بل إذا كان كذلك الذي هو في القسمة سدس هذا أو خمسه، متعذرا صعبا، كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهبا، وأعز ملتمسا"[5].

---

[1]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول، ص:56.

[2]- ابن منظور ، لسان العرب، تح ياسر سليمان أبو شادي، مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة - ج م ع، الجزء السابع، ص:176.

[3]- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت - لبنان ، الجزء الثالث، ص:259.

[4]- ابن جني، الخصائص، الجزء الثاني، ص:82.

[5]- المصدر نفسه، ص:91.

يقول الامام السيوطي في المزهر " واختلفوا في الاشتقاق الأصغر، فقال سيبويه، والخليل، وأبو عمرو، وأبو الخطاب، وعيسى بن عمر، والأصمعي، وأبو زيد، وابن الأعرابي، والشيباني، وطائفة بعض الكلم مشتق، وبعضه غير مشتق"[1].

وأما الاشتقاق الأكبر فلا يكاد يُذكر إلا مقترنا بأبي الفتح عثمان بن جني، وإن كانت الفكرة قد سبقه إليها الخليل بن أحمد الفراهيدي في تقاليبه الشهيرة " قال الليث: قال الخليل: أعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين نحو قدَّ، دقَّ، شدَّ، دشَّ، والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة وهي نحو: ضرب، ضبر، برض، بضر، رضب ربض..."[2].

وقد ذكر ابن جني في الخصائص: " وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه، وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه، رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد"[3].

وقد اعترف صاحبنا صراحة بفضل وضع هذا المصطلح حيث يقول :" وإنما هذا التلقيب لنا نحن، وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن، وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين كبير وصغير"[4].

والكلمة الثنائية في النظرية الخليلية وجهان، وتقاليب الأصل الثلاثي ستة تقليبات، أم الكلمة الرباعية فأربعة وعشرون وجها، والكلمة الخماسية تجري على مائة وعشرين تقليبة غير أن اللافت عند ابن جني أنه أجرى هذه التقليبات على الأصول الثلاثية فقط، وأن كل أصل من الأصول بتقاليبه الستة يدور على نسق واحد من المعاني.

وقد أفرد ابن جني بابا في موضع سابق من مدونة الخصائص على هذا السَّمت حيث ضمَّن بحثه الفصل بين الكلام والقول، مبيِّنا أصل الكلمتين، ثم عقد لكل أصل

---

[1]– السيوطي الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح فؤاد على منصور، دار المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1989، المجلد الأول ص:276.

[2]– الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن ، كتاب العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ، 2005، ص:11.

[3]– ابن جني، الخصائص ، الجزء الأول، ص: 88.

[4]– المصدر نفسه، ص:88.

منهما التقاليب الستة لها، وبيَّن أن (ك ل م) تدل على القوة والشدة حيثما وجدت في كلام العرب، وأن (ق و ل) تدل على الخفة والحركة في كل تقليبة من تقليباتها ".[1]

1-4- الترادف:

جاء في لسان العرب " ترادف الشيء تبع بعضه بعضا، والترادف التتابع، وأردف الشيء بالشيء، وأردفه عليه أتبعه عليه"[2].

ويقول الخليل بن أحمد الفراهيدي " الرّدف ما تبع شيئا فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو التّرادف، والجميع الرُّدافى"[3].

أما في الاصطلاح :" هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتباره واحد"[4].

تناول الباحثون مسألة الترادف بإسهاب بين مؤيد لها ومنكر، وهي من أقدم الظواهر اللغوية التي نشأت مع نشأة اللغة، وقد خصَّص لها ابن جني فسحة ذات بال في مدونة الخصائص، وقد نبه إليها بقوله " هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة، وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه"[5].

إن أبا الفتح عثمان بن جني من أشدِّ اللغويين العرب الذين أثبتوا وجود هذه الظاهرة في العربية، اتضح ذلك من خلال استعراض، وتقصَّي آرائه في الخصائص حيث يقول:" وهذا مذهب في هذه اللغة طريف، غريب لطيف، وهو فقهها، وجامع معانيها، وضامّ نشرها وقد هممت غير دفعة أن أنشيء في ذلك كتابا أتقصى فيه أكثرها، والوقت يضيق دونه ولعلّه لو خرج لما أقنعه ألف ورقة إلا على اختصار وإيماء"[6].

---

[1]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول، ص : 26/19 .

[2]- ابن منظور ، لسان العرب، الجزء الخامس، ص:223.

[3]- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، ص:345.

[4]- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، المجلد الأول، ص:316.

[5]- ابن جني، الخصائص، الجزء الأول، ص: 74.

[6]- نفسه ، ص : 87.

1-5- المشترك اللفظي:

المشترك اللفظي وهو ما يُسمى بالمشترك اللغوي أيضا، وهو ما وُضع للدلالة على معاني أو أشياء بمرات متعددة، ككلمة (العين)"[1].

من هذا التعريف نستخلص أن المشترك اللفظي ما اتّحد لفظه، وتعدّد معناه، فتحيل اللفظة إلى معنيين مختلفين على الأقل، وقد أرجع علماء اللغة وجود هذه الظاهرة إلى تعدد اللهجات العربية، بتعدد القبائل، وتداخلها، وعند جمع هذه المعطيات تشكّلت أسماء عديدة لمسمى واحد.

يفرد ابن جني للمشترك اللفظي بابا كاملا في الخصائص سماه " باب في توجُّه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين" حيث أثبت هذه الظاهرة وضرب مثالا مفاده :" هذا أمر لا ينادي وليده" فاللفظ الواحد ينحو مناحي معنوية كثيرة.

1-6- التضـــاد:

جاء في القاموس المحيط: " الضِّد بالكسر والضَّد المثل، والمخالف ضدٌّ، ويكون جمعا، ومنه ويكونون عليهم ضدا، وضدّه في الخصومة غلبه، وعنه صرفه ومنعه"[2].

وفي الاصطلاح: " اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"[3].

وقد اعتبره ابن الأنباري نادرا في اللغة " وهذا الضَّرب من الألفاظ هو القليل الظريف في كلام العرب"[4].

عقد أبو الفتح عثمان بن جني بابا كاملا في مدونة الخصائص يتعلق بظاهرة التضاد سماه "باب في السَّلب".

نبّه ابن جني في البداية أن كل الأفعال والأسماء تتضمن معنى الفعل، نحو قام فهو يدل على إثبات القيام، وجلس يدل على إثبات الجلوس.

---

[1]- الشريف الجرجاني ، التعريفات، تـح الدكتور محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار النفائس، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة 2012،، ص: 329.

[2]- فيروز آبادي، القاموس المحيط ، الجزء الأول ، ص:320.

[3]- السيوطي، المزهر، المجلد الأول، ص:292.

[4]- ابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم ، الأضداد ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، د ط ،1960، ص:06.

في لغة العرب أفعال وأسماء ضامنة لمعانيـها، ثم تسلب تلك المعاني لتحيل إلى دلالة الأضداد، في مادة (ع ج م) معنى الإبهام والعجمة حيثما وقعت، فَدُعي العجم بذلك لأنهم غير فصحاء، وعلى النقيض من ذلك جاء معناها للدلالة على الإيضاح والبيان نحو أعجمت الكتاب إذا بيَّنته"[1].

ومن تصريف (م ر ض) إنها لإثبات معنى المرض، نحو مرض يمرض، وهو مريض ومارض ومرضى ومراضى، ثم إنهم قالوا مرَّضت الرجل أي داويته من مرضه، حتى أزلته عنه أو لتزيله عنه"[2]

2-علم الأصوات في مدونة الخصائص:

مظاهر الدّرس الصّوتي مبثوثة في المدونات التّراثية العربية، وقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي أول عالم تراثي تناول هذا الدرس من خلال معجمه "العين" الذي قسم حروفه حسب المخارج الصوتية لها: " وفي العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحيان ومدارج، وأربعة أحرف جُوف وهي الواو، والياء، والألف اللينة، والهمزة وسُميت جُوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان"[3].

بالإضافة إلى وضع الخليل لمدارج مخارج الحروف، فإنَّه أعطى بعض الحروف صفات فسمى الميم حرفا مطبقا لأنها :" تطبق الفم إذا نطق بها"[4].

ثم حذا حذوه تلميذه سيبويه فكانت جهوده في هذا العلم وضع سُلّم لمخارج الحروف فجعلها خمسة وعشرين مخرجا، ثم بعد الملاحظة والوصف تمّ ابتكار صفة لكل حرف اعتمادا على الملاحظة الحسية، فكانت الشدة والرخاوة، الجهر والهمس، التضخيم والترقيق.

ولم يضع سيبويـه حدا حاسما بين الصوت والحرف، بل الأكثـر من ذلـك جعلها شيئا واحدا، وذلك لتبريرات منها أنهم وجدوا أمامهم نظاما صوتيا جاهزا جرى تطويع حروفه منذ زمن بعيد، فكان للحرف رمز كتابي بغض النظر عن الأصوات المشكلة له[5].

---

[1]- ينظر ابن جني ، الخصائص ، الجزء الثالث ، ص :53.

[2]- نفسه ، ص : 54.

[3]- الخليل أبن أحمد ، معجم العين ، ص:10.

[4]- المصدر نفسه ، ص:11.

[5]- ينظر تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:51.

كانت الملاحظات التي خرج بها سيبويه ت(180هـ) مخالفة لما جاء به علم الأصوات الحديث، حيث قام باستنباط الحروف من الأصوات ،غير أن الملاحظة أثبتت عكس ذلك: " ولقد اتجه سيبويه وأصحابه عند النظر في استنباط الحروف من الأصوات اتجاها عكس ما يراه المحدثون، فسوف نرى في دراسة الصوتيات أن اتجاه البحث الحديث إنما يكون من الأصوات إلى الحروف"[1].

استفاد أبو الفتح عثمان بن جني من الدراسة الصوتية لسابقيه خاصة الخليل ت(175هـ) وسيبويه، فقد مكنته الموهبة الفذة ورجاحة عقله من الأخذ بهذا العلم يمينا وشمالا، وتكلم فيه باستفاضة لم يسبقه إليها أحد، وأدلى بدلوه في كثير من مسائلها وتشعباتها، وقد اعترف صراحة بأخذ السبق والغوص في لججه حين قال: " وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه ذلك الإشباع"[2] ،وقد أسَّس أبو الفتح عثمان بن جني لعلم الصوت من منطلق تعريفه للغة، بأنها أصوات وضعت للتعبير عن أغراض ومقاصد، ومن هذا المنطلق جعل اللغة صوتا خاصا بكل قوم، وهو تعريف إنساني لهذه الملكة جامع مانع.

وابن جني أول عالم تراثي وضع حدا فاصلا بين الصَّوت والحرف وهي الفكرة التي نادت بها اللسانيات العامة الحديثة، والاتجاه البنوي ، إنّ الحرف عنده مجموعة من الأصوات المتداخلة في انسجام، ومن هنا يطفو إلى السطح ظهور فكرة الفونيم في أعماله دون المصطلح، فمصطلح الفونيم ذو ظلال تراثية بارزة في مدونة الخصائص: "إنّ أفضل ما يمكن أن نقول في تعريف الفونيم، إنه أصغر وحدة صوتية غير قابلة للتجزئة"[3].

ورغم الإشكال القائم في الدراسات اللغوية الحديثة الغربية، والعربية حول مصطلح الفونيم، فإنَّ الجل الغالب من هذه الدراسات أجمعت على التطابق الحاصل بين الفونيم والحرف.

والجدير بالذكر أن ابن جني أول من أشار إلى لفظة المقطع في الدراسات الصوتية: " لم تَرد لفظة المقطع في الدراسات اللغوية العربية قبل ابن جني، الذي ذكر اللفظة دون

---

[1]– تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:50.

[2]– ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق - سوريا، الطبعة الثانية، 1993، الجزء الأول، ص: 63.

[3]– عبد القادرعبد الجليل،التنوعات اللغوية ،دار الصفاء للطباعة ،عمان - الأردن ، الطبعة الأولى ، 1997، ص:63.

شرح مفصل، ولكنه كان يعني بالمقطع الحرف، والحرف لا يحدث إلا بواسطة الصوت الصاعد من الرئتين"[1].

وضع ابن جنـي حجر الأساس للدراسة الصوتية كعلم وكمستوى من مستويات التحليل اللساني، وبهذا يكون قد أسَّس لهذا العلم، ووضع خطوطه العريضة، والذي كان عند أسلافه إشارات وملاحظات لا تتعدى تحديد المخارج والصفات ليس إلا.

إذا كانت معظم الدراسات الصوتية عند ابن جني قد استأثر بها مؤلفه " سر صناعة الإعراب" فإن مدونته "الخصائص" قد جمعت جهوده في هذا النظام والتي تنمّ عن مجموعة من الملاحظات التي قادته إلى تحقيق نتائج كنتائج المحدثين أو تكاد.

- توصّل أبو الفتح عثمان بن جني إلى أنّ صفات الحروف لها علاقة وطيدة بمعانيها ومدلولاتها،

حيث أكد أن الأصوات ما هي إلا إسقاطات على معانيها، فأصوات الحروف تقابل الأحداث، ويمثل لذلك "خضم وقضم فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء، والقضم للصلب واليابس، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على مسموع الأحداث"[2].

وقد تناول في الدراسة الصوتية في هذه المدونة جملة من المسائل، ووصل إلى استنتاجات أهمها:

- الإدغام وقسّمه ضربين: إدغام أكبر وإدغام أصغر، تناول كل نوع بالشرح والتمثيل.

- طرق بابا هاما في علم الأصوات الحديثة دون أن يمس المصطلح في باب عقده في مطابقة الحركات للحروف والعكس حيث قال: " وسبب ذلك أن الحركة حرف صغير، ألا ترى أن من متقدمي القول من كان يسمي الضمة الواو الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والفتحة الألف الصغيرة"[3]

---

[1]– الدكتورعبد القادر شاكر،علم الأصوات العربية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة 1، 2012، ص: 50.

[2]– ابن جني ، الخصائص ، الجزء الثاني ، ص : 104.

[3]– نفسه، ص : 210

- ثم انتحى مذهب سيبويه وأبي علي الفارسي في سبق الحرف الصامت للحرف الصائت وفي العربية لا يمكننا استهلال الكلمة إلا بحرف صامت ساكن، ثم إمكانية حلول الحركة مكان الحرف والحركة مكان الحركة.

ملخص القول: أبو الفتح عثمان بن جني من علماء التراث الذين كان لهم السبق في التأسيس لعلم الأصوات من حيث:

- وضع منظومة صوتية متكاملة.

- أول من وضع حدًّا فاصلا للتداخل الحاصل بين الصوت والحرف.

- من خلال الملاحظة والتجربة المتاحة آنذاك حدّد مخارج الحروف، ثم بيّن صفات الحروف، ومن خلال ذلك جاءت دلالات الألفاظ متطابقة مع صفات وسَمْتِ هذه الأصوات.

3- النظام الصّرفي:

اتخذت مادة صرف في اللغة معاني عديدة أهمها:

"صرف" الصَّرف رد الشيء عن وجهه، صَرَفه يصرفه صرفًا فانصرف، وصارَف نفسه عن الشيء صرَفها عنه"[1].

قال الخليل في معجم العين " الصَّرف أن تصرف إنسانًا على وجهٍ يريده إلى مصرف غير ذلك"[2].

أما مصطلح الصّرف في الاصطلاح:" اشتقاق بعض من بعض"[3].

ويعرفه الدكتور عبده الراجحي بأنه:" الصَّرف يدرُس الوحدات الصرفية والصيغ اللغوية، وهو ما يعرف عندهم بمصطلح "Morphology"[4].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب ، الجزء السابع ، ص:353.

[2]- الخليل بن أحمد، كتاب العين، ص: 517.

[3]- نفسه، ص:516.

[4]- عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ، ص: 20.

وعرفه الشيخ محمد بن عبد الله بقوله :" التَّصريف علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب"[1].

من التعريفات الاصطلاحية لهذه المادة يتضح أن الصرف يتعلق ببنية الكلمة دون المساس بإعرابها.

المستوى الصرفي من أنظمة اللغة التي شادت اللسانيات البنوية الحديثة، فهو علم تتجاذبه كل المستويات اللغوية الأخرى، يقول الدكتور تمام حسان: " النحو لا يفتأ يستخدم معطيات الصوتيات والصرف المختلفة في عرض الأغلب الأعمّ من تحليلاته، وفي الرمز لعلاقاته، وأبوابه، حتى إننا لنجد القرائن اللفظية الدالة على أبواب النحو المختلفة هي في جملتها عناصر تحليلية مستخرجة من الصوتيات والصرف"[2].

وقدأولى أبو الفتح عثمان بن جني عناية فائقة بعلم التصريف في أغلب مصنفاته، لا سيما في كتاب الخصائص مستلهما أصوله ومبادئه من أستاذه أبي علي الفارسي.

واشتغل ابن جني بالتصريف، وحذق فيه، فكان إماما من أئمته حتى إنه لم يجاره أحد مِمّن سبقه وعاصره فيه.

يقول الدكتور شوقي ضيف مُدعِّما هذا الرأي:" والقسط الأكبر من نشاط ابن جني إنما كان في علم التصريف، ودفعته رغبته في التعمق فيه، إلى أن يقرأ على أستاذه الفارسي كتاب التصريف للمازني "[3].

إن المباحث الصرفية متناثرة هنا وهناك في كتاب الخصائص، ويكاد أبو الفتح عثمان بن جني يلمّ بكل ما أفاد به السابقون والأسلاف، وقبل تناولها تجدر الإشارة، ويجب الانتباه إلى أن علماء التراث لم يجعلوا فارقا فاصلا بين المستوى الصرفي، والمستوى النحوي لاعتبارات منطقية ، وموضوعية ، لأنّ النحو يستفيد من المعطيات التي يقدمها علم الصرف ،وهذه تبريرات تؤكد عدم فصل التراثيين هذا النظام عن ذاك .

---

[1]– محمد بن عبد الله بن محمود،الكفاية في النحو، تح محمد بن يحي جاد الله الجعبري، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2005، ص :53.

[2]– الدكتور تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 86.

[3]– الدكتور شوقي ضيف، المدارس النحوية ، ص:266.

وممّا يشد أزر هذا الرأي اتفاق المحققين والدارسين على أن النحو والصرف نظام واحد، ولا يمكن الفصل بينهما البتة :"الصرف والنحو جزءان لعلم واحد، أو أن النحو لا يمكن درسه دون بحث الجوانب الصرفية للغة"[1].

فالمستويان النحوي والصرفي متدخلان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وقد ظهر ذلك جليا عند علماء التراث، فكتاب سيبويه وكتب التراث كلها أبانت عن عدم التفريق بين هذين العلمين، واعتبار الأول يخدم الثاني، فكما أن علم الصرف يتناول بنية الكلمة، وما يعتريها من تغيير، فالوحدات التي تتشكل منها الجملة ما هي إلا كلمات مُقسّمة إلى اسم وفعل، ومن ذلك وجد هؤلاء تبريرات مقنعة في الجمع بين هذين العلمين في مستوى واحد.

ولما كانت مدونة الخصائص مدونة تراثية يقال عليها، ما يقال على الموروث التراثي: " فإن ابن جني يؤكد المذهب الذي ظهر في كتاب سيبويه والخالفين من بعده من اعتبار النحو والصرف علما واحدا "[2].

ويقول ابن جني " فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلت قام بكر ورأيت بكرا، ومررت ببكر، فإنك خالفت بين حركات حروف الإعراب، لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة"[3].

3-1 - نماذج من الدرس الصّرفي في الخصائص:

تناول الدرس الصرفي عند ابن جني في مدونة الخصائص الصيغ اللغوية، والوحدات الصرفية التي:" تتناول الناحية الشكلية للصيغ، وعلاقتها التصريفية، الاشتقاقية، باعتبارها عناصر في لغة أو لهجة، يراد وضع قواعد لها"[4].

والدارس للنظام الصرفي لابن جني في كتاب الخصائص، يقف على التقسيم الذي فرضه، منهج النحاة من حيث تبويب وتصنيف موضوعات هذا العلم،وقد جاءت قضايا الصرف عنده في مظهرين: أبواب صرفية قارَّة ثم مسائل مبثوثة بين طَيَّات الكتاب، يقول

---

[1]- الدكتور عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص:145.

[2]- المرجع نفسه ، ص: 149.

[3]- ابن جني، المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني، تح إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين، دار إحياء التراث العربي، ط01، 1954، الجزء الأول، ص: 40.

[4]- بلملياني بن عمر، تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون -الجزائر، طبعة 2006، ص:191

الدكتور غنيم غانم عبد الكريم: " بعد دراستنا لكتاب الخصائص، وتخريج موضوعاته الصَّرفية تبيَّن لنا أن ابن جني عالج هذه الموضوعات كالتالي، أفرد أبوابا لكثير فيها أولاها الدراسة والعناية، وبعضها الآخر درسها في ثنايا الكتاب"[1].

وقبل التطرق إلى هذه الموضوعات يجدر بنا أن نعرج على دواعي وضع ابن جني لعلم التصريف والغرض من ذلك، حيث إنه أفرد بابا سماه: (باب في الغرض في مسائل التصريف)[2]، مفاده إلحاق بعض الأبنية والصيغ الصرفية بكلام العرب، ثم إتباعها التدريب وترويض الألسن لغرض "التأنس به وإعمال الفكرة فيه، لاقتناء النفس القوة على ما يرد مما فيه نحو مما فيه"[3].

3-1-1- أبواب صرفية قارة:

1-الإبدال: استعمال حرفين متقاربين مكان بعضهما البعض.

2-القلب المكاني: تقديم وتأخير أصلين متقاربين تركيبيا.

3-تداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية.[4]

4-الاستخفاف في العدول من الثقيل إلى ما هو أثقل[5].

5-الحكم وضده في باب (سبب الحكم قد يكون سببا لضده)[6].

6-مراعاة الحس، واستبعاد الثقل في التقسيم في باب (الاقتصار في التقسيم على ما يقرب ويحسن لا على ما يبعد ويقبح)[7].

---

[1]-الدكتور غنيم غانم عبد الكريم، جهود ابن جني في الصرف وتقويمها وفق علم اللغة الحديث، جامعة أم القرى-السعودية، د ط ، 1991، ص: 108.

[2]- ابن جني، الخصائص، الجزء الثاني ، ص: 334.

[3]- المصدر نفسه ، ص: 335.

[4]- المصدر نفسه ، ص: 31.

[5]- المصدر نفسه، الجزء الثالث ، ص: 11.

[6]- نفسه ، ص: 36.

[7]- نفسه ، ص: 48.

3-1-2 مسائل صرفية متفرقة في الخصائص:

توقف ابن جنـي في هذا التقسيم عند النواحي التي تمسُّ صيغ الكلمات، أو البنى الاشتقاقية للكلم، التي تحيل إلى معان فرعية تتقاطع مع المعنى الأصلي، ويمكننا تقديم نماذج وأمثلة كالزيادة نحو" زيادة تاء تجفـاف"[1]، والنسب نحو نسب الممدود، ونسب الأسماء الثلاثية الساكنة الوسط كبنت وأخت، ونسب المثنى، والتحقير له نحو "تحقير أحوى"[2] والتكسير نحو "دياميس في جمع ديماس"[3].

4- المستـوى النحـوي:

4-1 النحو: عرف الشريف الجرجاني النحو أنه " هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب، والبناء وغيرهما"[4].

أما صاحب اللسان فيقول " والنحو إعراب الكلام العربي، والنحو القصد والطريق"5.

أما أبو الفتح عثمان بن جني فيذهب إلى أن النحو " هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعـراب وغيره، كالتثنية، والجمع والتحقير، والتكسير والإضافة، والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رُدَّ بها إليها"[6].

وفي التعريف الأخير لابن جني النحو يشمل الإعراب والتصريف، والغاية منه إدراك الفصاحة من غير العرب، وهو علم لا يقتصر على العربي، إنما وضع لتقويم لكنة الأعجمي ليصبح فصيحا، ولعل هذا التعريف من أَجَلِّ تعاريف علم النحو عند علماء العربية، فالنحو عند ابن جني له مفهوم وغرض.

وكتاب الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جنـي يعج بالمسائل والقضايا النحوية، التي خاض فيها الأقدمون، وكان له آراء موافقة لهم ومخالفة أحيانا.

---

[1]- ابن جني الخصائص ،الجزء الثالث، ص: 204.

[2]- نفسه ، ص: 13.

[3]- نفسه ، ص : 84.

[4]- الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص:329.

[5]- ابن منظور، لسان العرب ، الجزء 14، ص:45.

[6]- ابن جني ، الخصائص، الجزء الأول، ص:45.

4-2 الإعراب: أهم مسألة في النحو تناولها ابن جني قضية الإعراب، فالإعراب من بين فروع النحو التي اهتم بها سابقوه.

يقول ابن الأنبا ري " سمي إعرابا لأنه تغير يلحق أواخر الكلم، من قولهم (عربت معدة الفصيل) إذا تغيرت"[1].

ابن جني أوجد للإعراب أصلا في اللغة، وفي الاصطلاح، ففي اللغـة ربط بينه وبين كلمة العرب فكلاهــما يعني الجلاء والبيان والوضوح، وفي الاصطلاح " الإبانة عن المعاني بالألفاظ"[2].

هذا التعريف أخذ معنى أعمق إذ بالإعراب تتضح المعاني وتتجلى المقاصد.

4-3 البنـاء: "وهو لغة وضع شيء على شيء على صفة يراد بها الثبوت، واصطلاحا ضد الإعراب، وهو لزوم آخر الكلمة حالا واحدا حركة نحو هؤلاء فإن آخره مكسور في جميع أحواله[3].

البناء عند ابن جني " لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا، من السكون أو الحركة، لا لشيء أحدث ذلك من العوامل، وكأنهم إنما سموه بناء، لأنه لما لزم ضربا واحدا، فلم يتغير تغير الإعراب سمي بناء، من حيث كان البناء لازما موضعه، لا يزول من مكانه إلى غيره[4].عرف ابن جني البناء كما جاء عند الأولين، غير أنه استطرد في التعليل في سبب إطلاق هذا المفهـوم الذي يدل على الثبات، وعدم الحركة على بقاء اللفظ على حال واحدة مهما اختلفت المواضع، وتمثل لذلك بقول الشاعر:

فبنى لنا بيتا رفيعا سمكه فسما إليه كهلها وغلامها[5].

---

[1]- ابن الأنبا ري أبو البركات، أسرار العربية، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ، 2010، ص:32.

[2]- ابن جني، الخصائص ، الجزء الأول ، ص:46.

[3]- الشيخ محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل، الكواكب الدرية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2002، ص: 45.

[4]- المصدر السابق ، ص:48.

[5]- البيت من معلقة لبيد بن ربيعة العامري .

4-**4 الحذف:**عقد ابن جني بابا نحويا في مدونة الخصائص سماه " باب شجاعة العربية" [1] يتضمن المسائل التالية: الحذف، الزيادة، التقديم والتأخير، الحمل على المعنى، التحريف.

ففي الحذف أشار إلى أن العرب حذفت الجملة في القَسم والأمر، والنهي والتخصيص كقولنا زيدا أي اضرب زيدا.

وذكر بأن حذف المفرد يتناول الاسم، الفعل، الحرف.

- حذف الاسم: كحذف المبتدأ، وحذف الخبر، وحذف المضاف، حذف المضاف إليه حذف الموصوف، حذف الصفة، حذف المفعول به، حذف المعطوف، حذف المستثنى حذف الخبر، حذف المنادى ".[2]

- حذف الفعل: وقد بيَّن أنه ضربان:

- حذف الفعل وفاعله وهو من قبيل حذف الجملة.
- حذف الفعل وحده ".[3]
- حذف الحرف أي حذف حرف زائد على الكلمة وحذف حرف من الكلمة نفسها ".[4]

4-5-التقديم والتأخير:

يقع التقديم والتأخير في لغة العرب ،وهو قياس واضطراري، قياس ما يجوز تقديمه كالمفعول به على الفاعل، والظرف والحال، والاستثناء، خبر المبتدأ على المبتدأ والمفعول لأجله على الفعل، والحال على صاحبها، وذكر من جملة ما يصح تقديمه تقديم المميزعلى التمييز، والصلة على موصولها، والصفة على موصوفها، والمبدل على المبدل منه، وعطف البيان على المعطوف عليه، ومما لا يجوز تقديمه المضاف إليه على المضاف، الجواب على المجاب سواء كان شرطا أو قسما".[5] أشار إلى قبائح الفصل بين

---

[1]- ابن جني ،الخصائص ، الجزء الثاني ، ص : 243 .

[2]-المصدر نفسه ، ص :246/245 .

[3]- نفسه ، ص : 258 .

[4]- نفسه ،ص : 260 .

[5]- نفسه، ص : 261/260

المضاف والمضاف إليه، الفعل والفاعل، المبتدأ والخبر، بين حرف الجر والاسم المجرور بين المعطوف والمعطوف عليه، بين الصفة والموصوف "[1].

4-6 -الحمل على المعنى:

سماه ابن جنـي فصلا ضمن مدونة الخصائص، بَّين أنه معروف في القرآن وفي نثر العرب، وشعـرهم ومـن ذلك تأنيـث المذكر، وتذكير المؤنث، ومثل لتذكير المؤنث بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ رحمةَ اللهِ قريبٌ مِنَ المحسِنينَ**﴾ **الآية 56 من سورة الأعراف**، وأما تأنيث المذكر فقول الشاعر:

يا أيّها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت "[2]

4-7- التحريف:-

يمس حسب ابن جني الاسم، الفعل والحرف:تحريف الاسم: مقيساً ومسموعاً

- تحريف الفعل: يكون لتشبيـه المضعـف للمعتل نحو ظللت، ظلَّت، ويكون بقلب الفعل نحو اكفهرّ، اكرهفّ.
- تحريف الحرف: يكون بإبدال حرف من حرف نحو شمَّ، فمَّ.

4-8 مسألة العامل في كتاب الخصائص:

الظاهرة الإعرابية في لغة العرب (الرفع، النصب، الجر، الجزم) يترتب عنها مؤثر يعمل فيها، فكان وأخواتها تعمل الرفع في اسمها والنصب في خبرها، والفعل يرفع فاعله وينصب مفعوله وهكذا دواليك.

إذا فنظرية العامل تكتسي أهمية بالغة في اللغة العربية، لذا خاض فيها النحاة كثيرا، حتى وصل ببعضهم إلى جعلها أساس النحو كله، كما حذا بالبعض الآخر إلى إلغائها، وهدمها تماما، وقد دار جدل واسع حول هذه النظرية بين مؤيد ومعارض.

وقد عرّف الشريف الجرجاني العامل بأنه: "ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب[3]

---

[1]- ابن جني ،الخصائص ، الجزء الثاني ، ص : 266 .

[2]- نفسه، ص :284/281 /285 .

[3]- الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص:222.

ويقول الدكتور التواتي بن التواتي: لقد استقر في رأي النحاة أن الحركات الإعرابية وما يتصل بها إنما هي أثر لمؤثر أوجدها، ولا يتصور العقل وجودها بغيره، متأثرين في هذا بما يقرر في العقائد الدينية ومجالات علم الكلام، من أن لكل حادث محدثا، ولكل مُوجَد موجِدا ولا يصح في الذهن مخلوق بغير خالق، ولا مصنوع بغير صانع[1].

وكثيراً ما اعتد ابن جني كغيره من النحاة بنظرية العامل، وجعلها قانونا قارّا، يناقش بها آراءه النحوية، وتعلّقه بهذه النظرية لا يرقى إليه شك.

يقول الدكتور فاضل صالح السامرائي :" إنّ أبا الفتح لا يختلف كثيرا في موقفه من هذه النظرية، وإيمانه بها وتطبيقها في دراساته، وبحوثه عن سائر النحاة، فقد جعلها دستورا كشأن سائر النحويين، يرجح بها راجحا، ويرفض بها ما يراه خطأ"[2].

فالذي لا خلاف فيه إذن أن أبا الفتح عثمان بن جني يؤمن بنظرية العامل، ويعمل بها في اجتهاداته النحوية.

يقسِّم ابن جني العامل إلى ثلاثة أقسام في كتاب الخصائص:

- **العامل اللفظي:** عند ابن جني أن بعض العمل يأتي مسببا عن لفظ يصحبه كمررت بزيد وليت عمراً قائم.[3]

- **العامل المعنوي:** هو ما كان عاريا من مصاحبة لفظ يتعلق به وهو كثير في لغة العرب فدواعي منع الاسم من الصرف تسعة واحد منها لفظي وثمانية معنوية[4]

- عامل مشترك بين اللفظي والمعنوي كعامل الرفع في الخبر لفظي معنوي.

ثم تناول الشروط الواجب توفرها في العامل منها:

لكل عامل معمول واحد فقط.

يجب أن يتقدم العامل على المعمول.

---

[1]– الدكتور التواتي بن التواتي، محاضرات في أصول النحو، دار الوعي للنشر والتوزيع، الروبية - الجزائر، الطبعة الثانية 2012، ص:271.

[2]– فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي ، ص:192.

[3]– ينظر ابن جني الخصائص، الجزء الأول، ص: 111.

[4]– نفسه، ص 110.

العامل في الاسم أثْبت وأقوى من العامل في الفعل.

ينصب المفعول به بعامل الفعل،المعاني تعمل الرفع في الأفعال، وقد تعمل في الظروف والحال.[1]

5-أصول النحو في مدونة الخصائص:

يقول ابن فارس في المقاييس في اللغة :" أصل الهمزة والصاد واللام ثلاثة أصول متباعدة بعضها عن بعض أحدهما أساس الشيء"[2].

ويقول صاحب اللسان: " الأصل أسفل كل شيء، وجمعه أصول لا يكسر على غير ذلك"[3].

ويذهب الخليل إلى أنه " الأصل أسفل كل شيء "[4].

أما في الاصطلاح فإن أصول النحو هي: " أدلة النحو التي تفرعت عنها فروعه وفصوله"[5].

وقد نال أبو الفتح عثمان بن جني الأحقية في امتلاك هذا العلم عند علماء العربية، فاق بذلك أستاذه أبا علي الفارسي، وابن السَّراج :"وهنا يحق لنا أن نقول إن ابن جني أكثر من ابن السَّراج، وأبي علي الفارسي استحقاقا لأن ينسب إليه هذا الفضل فإن كتابه " الخصائص" يتضمن الخواطر الأولى التي كانت تراود ابن جني لابتداع هذا العلم، كما يحتوي على قدر كبير من مسائله وقضاياه"[6].

وممّا يؤاخذ ابن جني عليه في هذا العلم أن معالجته فيها الكثير من التقصير، فهو لم يلم شعت أركانه، ولم يتناولها بالتفصيل والعناية، إن ابن جني لم يلم شتات أصول النحو

---

[1]- ينظر فاضل صالح السامرائي، ابن جني النحوي، ص: 200.

[2]-ابن فارس أبو الحسن أحمد ، معجم المقاييس في اللغة، تح شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2011، ص:77.

[3]-ابن منظور، لسان العرب ، الجزء الأول، ص:183.

[4]- الخليل بن أحمد، معجم العين ، ص:29.

[5]- ابن الأنباري كمال الدين أبو البركات ، لمع الأدلة في أصول النحو ، تح سعيد الأفغاني ، دمشق – سوريا ، دط ، 1957 ، ص : 80 .

[6]-الدكتور التواتي بن التواتي، محاضرات في أصول النحو، ص:38.

ولم يستوف الحديث عن أركانه من نقل وقياس، واستصحاب حال، ولم يُحط بتفصيلات كل ركن منها بل تناول بعض قضاياه فيه"[1] ، ومع ذلك كلّه، فإن أبا الفتح عثمان بن جني قد أسَّس وأصَّل لهذا العلم، بظهور بذوره وإرهاصاته، مستقلة عن النحو في كتاب الخصائص: "فقد قسم أبواب أصول النحو على الموضوعات التالية: العلة، القياس، السماع التسلسل، الاستحسان، الإجماع، وتركيب اللغات، وتدرج الشيء، وحمل الشيئ على الشيء والحمل على أحسن القبيحين ، وتعارض السماع والقياس، وتركيب المذاهب واختلاف اللغات وكلها حجة، وخلع الأدلة، وشجاعة العربية، وغير ذلك من الأبواب"[2].

وقد ذكر ابن جني صراحة أن كتابه الموسوم بالخصائص يعد من أنفس ما وضع في علم أصول النحو، يقول: " وذلك أننا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه"[3].

كما أن تأليف ابن جني في أصول النحو محاولة جادة، تنمّ عن جهد كبير في تقديم هذا العلم، والتأصيل له، ورغم ما وصلت إليه مدرستا البصرة والكوفة في بناء صرح النحو إلا أن الخوض في أصوله جاء محتشما لا يكاد يذكر له أثر، ذلك أن علماء البلدين امتنعوا عن ولوج لججه وأغواره :" فكانت مسافر وجوهه، ومحاسر أذرعه وسوقه تصف لي ما اشتملت عليه مشاعره وتحي إلي بما خِيطت عليه أقرابه وشواكله، وتريني أن تعريد كل من الفريقين البصريين والكوفيين عنه، وتحاميهم طريق الإلمام به، والخوض في أدنى أوشاله وخلجه، فضلا عن اقتحام غماره ولججه"[4].

والذي لا خلاف فيه أن أبا الفتح عثمان بن جني قد تأثر أيَّما تأثر بعلم الكلام، وعلم أصول الفقه في تصنيفه لعلم أصول النحو، إذ يشير إلى ذلك في مواضع كثيرة إلى سبقه في وضع هذا العلم على مقاس المشتغلين بعلم الكلام والفقه ، ولم يجرؤ أعلام البلدين ،البصرة والكوفة على إتيانه، وبلوغ مداركه، وإيلاج عميق لججه .

وأهم مباحث أصول النحو في كتاب الخصائص السماع، القياس، الإجماع، عدم النظير، الحمل على الظاهر، استصحاب الحال.

---

[1]- الدكتور التواتي بن التواتي، محاضرات في أصول النحو، ص: 44 .

[2]- نفسه، ص: 38.

[3]- ابن جني الخصائص، الجزء الأول، ص :17.

[4]- نفسه ، ص: 16/ 17.

5-1السماع:

سمع سمعا في اللغة " حسّ الأذن، وفي التنزيل﴿ **أَوْ أَلْقَى السَّمعَ وهو شهيدٌ**﴾ **الآية 37 من سورة ق،** وقال ثعلب: معناه خلا له فلم يشتغل بغيره، وقد سمعه سمعا وسمعا وسماعا وسماعة وسماعية"[1].

وفي الاصطلاح :" هو ما لم يذكر فيه قاعدة كلية مشتملة على جزئياتها"[2]

وقد اعتمد العرب السماع وسيلة لأخذ المعطيات اللغوية من الأعراب الفصحاء والسماع مصدر من مصادر اللغة عند ابن جني، بل هو رائد الأحكام وسيِّدها، وتكمن أهميته في الاتصال بالموثوق بفصاحتهم من الأعراب والنقل عنهم.

فلقد أبدى ابن جني صرامة في أولية التلقي عن أهل الوبر، وترك الأخذ عن أهل المدر، وذلك لعدم اختلاط هؤلاء بالقبائل العربية المتاخمة للتمدن، مِمَّن لحقت ألسنتهم شوائب اللحن والفساد، يقول ابن جني: " علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل، ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر".[3]

وأحيانا نرى ابن جني يتخذ موقفا لَيِّنًا في ضرورة تجاوز هذا الشرط بخلاف سابقيه ومعاصريه، يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح :" وابن جني ينتمي إلى عصره (القرن الرابع حتى أواخره) فهو في تقبل المسموع أقل تشددا من العلماء القدامى بكثير، فهو يحاول دائما أن يجد ما يبرِّر ما ينفرد به بعض من سُمع منهم من العرب"[4].

وضع أبو الفتح ضوابط للسماع في كتاب الخصائص أهمها:

- أولية العربي الفصيح في نقل المسموع نقلا أو مشافهة.
- إذا خالف الفصيح القياس رُفض.
- هناك علاقة وطيدة بين السماع والقياس، فإذا شذ الفصيح وكان موافقا للقياس قُبل.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب ، الجزء السادس ، ص: 404.

[2]- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات ، ص :194.

[3]- ابن جني الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 03.

[4]-عبد الرحمن الحاج صالح ، السماع اللغوي العلمي عند **العـرب** ومفهوم الفصاحة ، ص:146.

- إذا دعت الحاجة إلى تغيير الفصيح للغته إلى لغة فصيحة ثانية اعتُد بها.

2-5 القياس:

القياس لغة: "قاسه بغيره وعليه يقيسه قيسا وقياسا، واقتاسه قدّره على مثاله فانقاس، والمقدار مقياس"[1].

وفي الاصطلاح :" حمل غير المنقول على المنقول، إذا كان في معناه"[2].

وفي تعريف الدكتور محمد حسن عبد العزيز شرح للتعريف السابق، إذ يقول: " حمل كلامنا المحدث على كلام العرب الموثّق في بناء الكلمة، أو بناء الجملة أو غير ذلك من طرائق التعبير، وهو أيسر طريق للتمكن من اللغة"[3].

ما سمع عن العرب إما مطّردا وإما شاذا.

فالأصل المعجمي للمطرد من جذر (ط ر د) التي معناها تتابع واستمر، وقد مثل بها ابن جني باطراد الفرسان كرًّا وفرًّا، واطراد الماء في الجداول، وذلك بعدم انقطاع مسيله"[4].

والشذوذ ما دلّ على عدم الاتفاق والتفرد، فهو مخالف لسمت الغالب العام لكلام العرب.

أشار ابن جني إلى أربعة تقسيمات للمطرد والشاذ وهي:

1- هناك اطّراد في القياس والاستعمال.

2- اطّراد في القياس شذوذ في الاستعمال.

3- اطّراد في الاستعمال شذوذ في القياس.

4- شذوذ في القياس وفي الاستعمال.

الأصل في القياس ما لم يكن شاذا قياسا واستعمالا، وفي هذا المنوال يقول أبو الفتح:" ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك

---

[1]- فيروز آبادي ، القاموس المحيط ، الجزء الأول ، ص:253.

[2]- ابن الأنبا ري ، لمع الأدلة ، ص:95.

[3]- الدكتور محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1995، ص:11.

[4]- ينظر ابن جني الخصائص ، الجزء الأول، ص: 97.

اسم كل فاعل ولامفعول، وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره، فإذا سمعت (قام زيد) أجزت طرق بشير، وكرم خالد"[1].تطرق ابن جني إلى العلاقة الوطيدة بين السماع والقياس، حيث إذا وقع تضاد بين القياس والسماع قُدّم الأخير، قال الله تعالى ﴿ **اسْتحوَذ عليهم الشّيطانُ**﴾ **الآية 19 من سورة المجادلة**، الفعل استحوذ لم يأت على قياس لكن يجب قبوله لأنه ورد بلغة العرب.

وورود معطى لغوي يستوجب القياس وجاز إتيان السماع، حكم للأول دون انتظار ورود السماع: " وذلك نحو عنتر وعنبر وحنزفروحنبتر وبلتع وقرناس"[2].

السماع والقياس مصدران من مصادر أخذ اللغة وتدوينها، إذ وجودهما حتمي لحفظ اللغة، وقد كان ابن جني من أشد علماء التراث تعلقا وشغفا بهذين الأصلين، وهما أصلان ثابتان في كتاب الخصائص.

درس ابن جني السماع والقياس باعتبارهما مصدرين من مصادر حفظ اللغة باستفاضة كبيرة في هذه المدونة، غير أن هذه الدراسة جاءت منبثة هنا وهناك بين جنبات الكتاب ، وقد اعتنى عناية فائقة بهذين الأصلين من أصول النحو، لأنهما حافظا على استمرار الفصحى، وتنميتها: " ويحظى القياس بمكان بارز بين دروس العربية، وهموم اللغويين، لأنه في الحقيقة أهم وسائل تنمية ثروة العربية"[3].

5-2-1 العلة:

العلة من حيث كونها ركنا للقياس وهي وصف مشترك بين المقيس عليه ،والمقيس، يبتني عليه حكم المقيس"[4].

ولم يشذ ابن جني عمن سبقه من العلماء خاصة الخليل وسيبويه عن الأخذ بالعلة :" ومَن يتأمل أكثر ما يعتل به النحاة الأوائل، ولا سيما الخليل وسيبويه، ومن قفا أثرهما ير أن

---

[1]- ينظر ابن جني الخصائص ، الجزء الأول، ص: 303.

[2]- المصدر السابق، الجزء الثالث ، ص:46 .

[3]- الدكتور محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية ، ص: 13.

[4]- الشريف الجرجاني، التعريفات، ص:230.

ما اعتلوا به، إنما هي علل لغوية بحتة مدارها على أسباب لسانية يبيّنها الحسُّ قبل أن ينفذ إلى إدراكها الذهن"[1].

5-3-الإجماع :

هو الاتفاق الحاصل بين علماء البلدين البصرة والكوفة حول مسألة لغوية ما، وثبتت صحة الإجماع: " إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص، فأمّا إن لم يعط يده بذلك، فلا يكون إجماعهم حجة عليه"[2].

وقد خالف ابن جني في الإجماع مسألة الجر بالجوار في قول العرب (هذا جحر ضبٍّ خرب) واعتبره من الأغلاط الشاذة التي خالفت القياس"[3].

5-3-1 نماذج من الإجماع:

- الضمير المتصل متصل بالعامل فيه منفصل عن الفعل نحو مررت به ونزلت عليه[4].
- الانفصال الحادث بين الضمير والفعل نحو كاف ضربتك.

5-4عدم النظير:

النظير مستأنس به فقط وإذا حل الدليل، فلا طائل من ذكره :" أما ترى إذا لم يقم دليل فإنك محتاج إلى إيجاد النظير، ألا ترى إلى عزويت ما لم يقم الدليل على أن واوه وتاءه أصلان احتجت إلى التعلل بالنظير، فمنعت من أن يكون فعويلا لمّا لم تجد له نظيرا، وحملته على فعليت لوجود النظير وهو عفريت"[5].

ذكر ردَّ المازني في من اعتبر السين وسوف ترفعان الأفعال المضارعة، حيث لم ير المازني عاملا مقترنا باللام، واستشهد بقوله تعالى﴿**فَلَسَوْفَ يَعلمونَ**﴾ **الآية 49 من سورة الشعراء.**

---

[1]- الدكتور التواتي بن التواتي، محاضرات في أصول النحو، ص: 307 .

[2]- ابن جني الخصائص، الجزء الأول، ص: 171.

[3]- ينظر فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي ، ص : 152 .

[4]- المصدر السابق، ص: 104.

[5]- ينظر نفسه ، ص: 176.

5-5استصحاب الحال:

وقد يسميه النحاة " استصحاب الأصل" ويقصدون به مطابقة المقيس عليه لما جرّده النحاة من أصل: " لأن المقيس عليه قد يختلف عند الأصل فشرطه الاطراد لا مطابقة الأصل، فإذا طابق المقيس عليه الأصل نشأت الحالة التي يسمونها الاستصحاب، ففي ضرَب استصحاب، وفي قال عدول عن الأصل"[1].

ويعتبر ابن الأنبا ري(577هـ) أنّ " استصحاب الحال من الأدلة المعتبرة"[2].

[1]– تمام حسان ، الأصول دراسة استيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، دار عالم الكتب، القاهرة - مصر، د ط 2009 ، ص: 185.

[2]– ابن الأنبا ري كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الإنصاف في مسائل الخلاف، دار الطلائع ، القاهرة - مصر، الجزء الأول ، ص : 257.

المبحث الثالث: المواصفات المنهجية لمدونة الخصائص

ابن جني علم بارز من أعلام التراث ينحو منحى سابقيه، ومعاصريه في منهج البحث العلمي للدراسة اللغوية، والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح، هل تأثر العرب بغيرهم في هذا المنهج؟ أم كانت لهم رؤية مستقلة عن التأثيرات الخارجية؟

في الحقيقـة إنه لا توجد قرائن ودلائل تثبت ذلك، لأنّ اعتزاز العربي بلغته جعل حائلا بينه، وبين التأثر بمنطق أرسطو الذي كان سائدا، ومن ذلك يظهر تكفل العرب بمنهج خاص بهم يتيح لهم إمكانية دراسة لغتهم وفق مناخ عربي خالص، وقبل الغوص في هذا الإطار، ينبغي تقديم إطلالة سريعة حول المنهج لغة، واصطلاحا.

1- الأصل اللغوي لمادة نهج:

" النهج الطريق الواضح والجمع نهوج ونهاج وهو المنهج والجمع مناهج"[1].

وجاء في أساس البلاغة نهج أخذ النهج والمنهج والمنهاج، وطريق نهج، وطريق نهجة، ونهجت الطريق بيّنته، وانتهجته استبنته، ونهج الطريق وأنهج، وضح"[2].

هناك إجماع بين العلماء والباحثين والدارسين، على أن المنهج فضاء عام يمكّن الباحث من تقديم الظاهرة العلمية المقصودة بالبحث إلى جمهور متخصص في شكل دقيق وأمين، وهو كإجراء موجود في الدراسات اللغوية القديمة بكل أصنافه لكنه كمصطلح لم يظهر إلا مع مطلع النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

والآن وبعد استبيان المفاهيم اللغوية والاصطلاحية، يجدر بنا تناول منهج البحث في مدونة الخصائص، وأهم خصائصه.

فمنهج أبي الفتح عثمان بن جني في كتابه الخصائص يُبرز إلى حدٍّ ما عقليته وثقافته وظروف تكوين شخصيته.

فالعرب عامة، وابن جني خاصة لم يدرس اللغة وفق المنهج التاريخي أو المنهج المقارن، بل جنح إلى المنهج الوصفي في وصف الظاهرة اللغوية بعد جمع واستقراء كلام

---

[1]- ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسين الأزدي البصري ، جمهرة اللغة ، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2010، الجزء الثاني ، ص:118.

[2]- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة ، تح الأستاذ إبراهيم قلاني ، دار الهدى - عين مليلة الجزائر، ص:694.

العرب :" وإذا كان العرب لم يقدّموا منهجا تاريخيا، ولا منهجا مقارنا، فإن هذا الذي قدّموه خليق بالدرس والاهتمام"[1].

2- أسس منهج ابن جني في مدونة الخصائص:

- تأثره بعلم الكلام والفقه.
- اعتماده مذهب أهل البصرة.
- يمتاز بثروة لغوية منقطعة النظير.
- تأثره بالعلماء الفحول وعدم تعصبه لرأيه.
- امتلاكه الحس اللغوي.
- الاستدلال والاحتجاج.
- إتباعه السماع والقياس.
- إسرافه في التعليل.
- كثرة الاستشهاد.
- التجديد في المصطلح.
- ربط تحليل المادة اللغوية بالواقع الاجتماعي.
- اللجوء إلى التكرار لأجل الفهم.

2-1 تأثره بعلم الكلام والفقه:

أهم خصّيصة ميزت منهج البحث عند ابن جني أنه تأثر في وضعه لأصول النحو بمنهج المتكلمين والفقهاء أعلنها صراحة في مقدمة كتاب الخصائص " جعل ابن جني علل العربية أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين"[2].

ومن هذا المنطلق يظهر انقياده إلى اعتناق مذهب هؤلاء في بحوثه اللغوية، لا سيما أصول النحو.

---

[1]- الدكتور عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ، ص: 183.

[2]- فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي، ص: 187 .

2-2 اعتماده المذهب البصري:

جاء في المدخل في ترجمة ابن جني أنه يُعدّ من البغداديين ذوي النزاعات البصرية يقول الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال: "ابن جني كان بصريا لكنه مع ذلك كان حر التفكير، فلم يكن يتقيد بالمذهب البصري، بل كان يفحص الآراء من بصرية وكوفية وبغدادية، ثم يفاضل بينها، ويأخذ الصحيح منها "[1].

فقد حذا حذو علماء البصرة في استعمال القياس وتقنين اللغة وفق منظور عقلي بحت يعتمد الانضباط في توخي السماع والقياس والثقة في الرواية.

2-3- ثروته اللغوية:

هذه الثروة اللغوية التي ورثها عن أسلافه، وأساتذته أهّلته لأن يدرس علم اللغة في أنظمتها، ويقدم نتائج لغوية ترقى لمستوى الباحث المتمرس.

2-4 -تأثره بالفحول من العلماء وعدم تعصبه:

عاش ابن جني في القرن الرابع الهجري الحافل بالعلوم والآداب، وقد ساعده ظهوره المتأخر إلى الاستلهام من الكثير من العبقريات التي سبقته، الخليل، سيبويه، أبي علي الفارسي، فهو لا يفتأ يذكر هؤلاء معلّلا آخذا برأيهم في باب " الحمل على الظاهر"،" ألا ترى أن سيبويه حمل سيِّدا على أنه مما عينه ياء، فقال في تحقيره سُيَيِّدْ، كديك وديبك ، وفيل وفُييل وذلك أن عين الفعل لا ينكر أن تكون ياء، وقد وجدت في سيّد ياء، فهي في ظاهر أمرها، إلى أن يرد ما يستنزل عن بادي حالها"[2].

ويظهر في أكثر طيات المدونة مفتونا بشيخه أبي علي الفارسي، فهو ينسب له كل شاردة وواردة، يقول في باب ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب :" قال أبو علي إذا قلت طاب الخشكنان فهذا من كلام العرب، لأنك بإعرابك إياه قد أدخلته كلام العرب"[3].

---

[1]- الأستاذ الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر،ط 01، 2006 ، الجزء الأول ، ص:131.

[2]- ابن جني الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 221.

[3]- المصدر نفسه ، ص: 303.

2-5 -امتلاكه الحس اللغوي:

لأبي الفتح عثمان بن جني حس لغوي رهيف، غاية في الدقة، فله في النظام الصوتي استدلال عجيب في كون الحرف سابق للحركة، والحركة إنما جعلت بعد الحرف اعتمادا على حسه وذوقه"[1].

2-6 -الاستدلال والاحتجاج:

يرى أن اللغة مجموعة مترابطة يمكن الاستدلال ببعضها على بعض، فالعروض واللغة والنحو ومعاني الشعر وغيرها مترابطة بينها"[2].

أما الاحتجاج فيميل إلى طريقة السؤال والجواب للإحاطة بالمسألة اللغوية من جميع جوانبها متأثرا بذلك بطريقة التدريس التي جالس فيها طلابه لسنوات طويلة، :" ثم هو يستخدم في الاحتجاج والجدل طريقة السؤال والجواب سواء بينه وبين أستاذه الفارسي كما كان يجري مثله بين سيبويه وأستاذه الخليل "[3].

2-7 إتباعه السماع والقياس:

على هدي المدرسة البصرية التي اعتنق مذهبها ابن جني فقد كانت :" عقليته قياسة منظمة لا جَّماعة، يهتم بكليات المسائل أكثر من الجزئيات"[4]، حيث يظهر في غاية الانضباط للمذهب البصري، رغم تحرره في معالجة الكثير من المسائل اللغوية، مشيرا للبصريين بأصحابنا.

2-8 إسرافه في التعليل:

إن أبا الفتح ذو عقلية تعليلية، فهو مولع بذكر العلل وتوجيهها، وكان مسرفا في ذلك يحاول بكل ما أوتي من قوة فكر وحِدَّة ذهن استخلاص العلة، وإن كانت بعيدة"[5]، فمن خلال أبحاثه يقيم علاقة منطقية بين العلة ومعلولها فقد لجأ إلى ربط المعنى بالتأويل خاصة في مسائل الاشتقاق الأكبر .

---

[1]- ينظر الأستاذ الدكتورعبد الغفار حامد محمد هلال ،عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني،الجزء الأول، ص:139.

[2]- فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي ، ص:221.

[3]- المرجع السابق ، ص:139.

[4]- المرجع السابق، ص: 223.

[5]- فاضل صالح السامرائي، ابن جني النحوي، ص:205.

2-9 كثرة الاستشهاد:

بلغ ابن جني في الاستشهاد شأواً لم يتح لغيره، استشهد وتمثّل بالقرآن الكريم الحديث الشريف، كلام العرب منظومه و منثوره .

2-10- التجديد في المصطلح:

لم يكن ابن جني مقلّدا إلا في الحدود التي يسمح بها التقليد، فقد جدّد في الكثير من المواضع التي ينبغي فيها التجديد، ومن مظاهر التجديد تجديد المصطلح الاشتقاق الأكبر الذي يعد ابن جني من خلاله الواضع الفعلي له.

2-11- ربط تحليل المادة اللغوية بالواقع الاجتماعي:

كثيرا ما كان يشير إلى علاقات تشابه بين الظواهر اللغوية محل تحليل إلى ظواهر اجتماعية مشابهة لها، وهذه طريقة انتبه لها فطاحلة التدريس في زمنه من أمثال شيخه الفارسي لغرض الاستبانة والتوضيح، يقول ابن جني في باب" بقاء الحكم مع زوال العلة ": " وعندي مثل يوضح الحال في إقرار الحكم مع زوال العلة، على قلة ذلك في الكلام، وكثرة ضده في الاستعمال، وهو العود تقطعه من شجرته غضًّا رطيبا،فيقم على ذلك زمانا، ثم يعرض له فيما بعد من الجفوف واليبس ما يعرض لما هذه سبيله، فإذا استقر على ذلك اليبس وتمكن فيه حتى ينخر لم يغن عنه فيما بعد أن تعيده إلى قعر البحر، فيقيم فيه مائة عام، لأنه كان بَعُدَ عن الرطوبة بعدا أَوْغَلَ فيه، حتى أيأس من معاودته البتة إليها"[1].

2-12- اللجوء إلى التكرار لأجل الإفهام:

مع الغزارة اللغوية لابن جني وغور أسلوبه، وعمق فكرته، فإنه غالبا ما يتخذ التكرار وسيلة للإفهام فقد كرّر عدة مسائل لغوية كالمطّرد والشاذ في مواطن كثيرة من مدونة الخصائص لأجل الإفهام والتوضيح.

يمكن القول في حقيقة الأمر، إن ابن جني قد أثبت براعته في هذه الناحية، حيث كان يكرر نفس الفكرة صفحـة وراء صفحة وهو ينتقل في الوقت نفسه من موضوع إلى آخر بطريقة تبهر الأبصار "[2].

---

[1]- ابن جني الخصائص ، الجزء الأول، ص: 114.

[2]- بوهاس، جيوم ، كلوغلي، التراث اللغوي العربي، ص:42.

3- الإعداد المنهجي للخصائص:

تعدّ منهجية تصنيف كتب التراث الحلقة الأضعف، والسِّمة الأوهن، ومما يلاحظه الدارسون لمدونة الخصائص التداخل في تناول الأنظمة اللغوية فيها، إذ تُعدّ هذه الأنظمة موادا متناثرة هنا وهناك، وهذا يؤدي إلى صعوبة التعامل معها رغم غِنى ثروتها اللغوية وتنوّعها، صعوبة تعامل الباحث المتخصص ناهيك عن القارئ العادي، وهذه المدونة كغيرها من مصنفات التراث لا تصح أن تكون إطارا منهجيا للطلبة في إعداد بحوثهم الجامعية الأكاديمية :" إن كتاب الخصائص ليس كتابا منهجيا يصلح لأنْ يُقدّم للطلبــة في حلقـات العلم، والدراسـة لقصوره من ناحية الترتيب والتبويب، فمسائلهُ التي تتعرض لهذا الموضوع موزّعة مشتتة في الكتاب"[1].

هذه الملاحظات التي ذكرها الأستاذ الدكتور جميل علوش جديرة بالاعتبار لما فيها من دقة وصدق وموضوعية في الطرح، إذ إن المتصفح لكتاب " الخصائص" تظهر له هذه الملاحظات، ولا يجد عناء كبيرا في إدراكها، والصحيح إنّ الكتاب يشمل كثيرا من القواعد العامة الأصولية، إلا أنه مزجَها بمباحث في علم النحو والصرف واللغة، وما يضاف إليها من عدم الترتيب لهذه المسائل الأصولية، مع غياب تام لبعض الأركان الأخرى التي تفضل الأستاذ جميل علوش بذكرها"[2].

---

[1]- جميل علوش، ابن الأنبا ري وجهوده في النحو، الدار العربية للكتاب، تونس، د ط ، 1981، ص:167.

[2]- ينظر المرجع نفسه ، ص:167.

المبحث الرابع: المكانة العلمية لمدونة الخصائص

إن أيّ عمل علمي تُستمد أهميته وقيمته من خلال امتلاكه لمجموعة من المواصفات، تؤهله للإمساك بأسباب التفوق، وحريٌّ بمدونة الخصائص أن تتبوأ المكانة المتميزة، كواحدة من أنفس ما صُنِّف في الدراسات اللغوية التراثية ،لا لشيء إلا لأنها تمكنت من استيفاء كل مقومات النجاح، إذ هذه المدونة الذائعة الصيت لا يكاد يذكر ابن جني على لسان إلا مقترنا بها، ومن بين الدواعي والأسباب التي هيأت لها النبوغ والشهرة مايلي:

- غزارة المادة العلمية التي تتضمنها.
- الخصائص موسوعة لغوية تراثية.
- أسلوبها الراقي الأنيق.
- عبقرية صاحبها في الطرح والجدية والابتكار.

4-1- أما من حيث غزارة المادة العلمية فحدّث ولا حرج، حيث تناولت هذه المدونة كل الأنظمة اللغوية التي تندرج ضمن الإطار العام الألسنية العامة :" فالذي لا شك فيه أن أبا الفتح أوفر مادة، وأعمق نظرة، وأكثر إنتاجا، وأشدّ تأثيرًا في الخالفين من اللغويين في القديم وفي الحديث"[1].

استفاض كثيرا في القضايــا التي تتعلق باللغة بشكل ملفت، فقد تطرّق إلى اللغة من حيث التعريف، ومذاهب النشأة، والوظيفة، وفي دراسة اللهجات، ثم مواطن الاتفاق والتداخل بين اللهجات العربية.

وفي مستوى الدرس الصوتي يُعد أبو الفتح عثمان بن جني أول من وضع خطًّا فاصلا بين الحرف والصوت، ووضع دراسة صوتية لا تختلف عن الدراسات الصوتية الحديثة، وفيما يتعلق بالاشتقاق فقد أخذت مدونة الخصائص الشهرة به، حيث إنه أول من وضع مصطلح الاشتقاق الأكبر جريا على تقاليب الخليل، وقد اعترف صراحة بأنه صاحب الفضل في وضعه وابتكاره، إذ يقول: " باب في الاشتقاق الأكبر، هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي- رحمه الله- كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز

[1]- الدكتور عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية ، ص: 51.

الاشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يُسمِّه، وإنّما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح إليه، ويتعلل به، وإنما هذا التلقيب لنا نحن، وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن"[1].

أخذت مدونة الخصائص الحظوة، والمكانة المثلى في كونها موسوعة صرفية بامتياز، اشتملت على جوانب هامة من هذا العلم، واعتبره وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه"[2]، وبخصوص علم النحو وأصوله فإنه كتاب وُضع لهذا الغرض حتى عدَّه الدارسون بأنه أول محاولة جادة ذات بال في أصول النحو: " وإذا جاوزنا أبا علي الفارسي، وانتقلنا إلى تلميذه ابن جني، وما قام به من عمل جليل بوضعه كتابه القيّم (الخصائص)، نجد أن ابن جني قد تنبه إلى أمر هام، وهو حاجة النحو والنحاة إلى كتاب في الأصول مثلما هو الشأن للفقه"[3].

كتاب الخصائص من الشهرة بمكان في علم الدلالة، وخصص ابن جني مجالا واسعا، وحيّزا رحبا فقد تناولت المدونة المرادف والمشترك، السلب، والحقيقة والمجاز، :" فقد كان أبو الفتح يعتقد أن اللغة بأصواتها التي تمثلها الأبجدية، إنما تقدم احتمالات لا نهاية لها من الألفاظ التي ترمز إلى معان"[4].

4-2 الخصائص موسوعة لغوية تراثية: أبو الفتح عثمان بن جني نظّم علم اللغة في مستويات وأنظمة لسانية، مستوى الصوت، مستوى الصرف، المستوى التركيبي، مستوى المعجم، وبذلك تعتبر مدونة الخصائص مدونة تراثية ذات ظلال ألسنية حديثة، أخذ السبق في ذلك، من علماء الغرب أنفسهم فالخصائص عالجت :" جوانب تشمل مستويات الدراسة اللغوية من صوتية، صرفية، نحوية ودلالية ، وإذا كان ابن جني لا يقدّم ربطا واضحا بين هذه المستويات، فإن معظم ما وصل إليه من مقررات تتسق مع ما استقر عليه علم اللغة في العصر الحديث"[5].

4-3 أسلوبها الراقي الأنيق: لا أحسب أن أحداً من علماء اللغة التراثيين بلغ مكانة أبي الفتح عثمان بن جني في أناقة الأسلوب، ورقته، بل إن مدونته "الخصائص" ما كانت لتبلغ

---

[1]- ابن جني الخصائص، الجزء الأول، ص: 88.

[2]- فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي ، ص: 118.

[3]- الدكتور التواتي بن التواتي ، محاضرات في أصول النحو، ص:37.

[4]- الدكتور عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ، ص: 164.

[5]- نفسه، ص: 53.

هذه المنزلة لولا براعة ابن جني في عرض أفكاره، وصرامته في تعامله مع اللغة، التي تعتبر وعاء يحمل المعطيات، وآلية حسن التعامل معها :" يجب الإشارة – على أية حال– إلى أن هذا الأسلوب المتأنق في الكتابة هو أسلوب له مغزى عميق في حدّ ذاته، إذا كان كلام العرب يتميز حقا بتمام النظام والانسجام"[1].

4–4 عبقرية ابن جني في الطرح والجدية والابتكار: في الحقيقة إن أبا الفتح عثمان بن جني قد ألقى بكل ثقله في هذه المدونة، فقد تعامل في طرحه للمستويات اللغوية، بمنتهى الواقعية والجدية وقد ساعده في ذلك تأخره الزمني (القرن الرابع الهجري) على الإلمام بآثار سابقيه، نخص بالذكر سيبويه، والخليل، وكان أكثر جرأة في معالجة مسائل الكتاب اللغوية، وأخذ السّبق في وضع مصطلحات جديدة لمضامين جديدة، وكان على رأس ذلك الاشتقاق الأكبر الذي كان ابن جني مجدِّدا فيه، رغم أن التأسيس الفعلي لهذه المسألة من قبل الخليل بن أحمد الفراهيدي :" يُعد ابن جني الباحث اللغوي العبقري الذي أزال الحجب عن قانون الاشتقاق وآفاقه العربية البعيدة، فما كان المشتغلون باللغة ليعرفوا شيئا ذا بال عن المواد العربية التي تتلاقى في إطار واحد، وتتجانس وتتشاكل إلى حدّ يمكن منه معرفة الشقيق والقريب والدخيل"[2].

بعد هذا الاستعراض السريع حول هذه المسألة نقف عند حقيقة هي أن مدونة الخصائص نالت شهرة اخترقت الآفاق، مدونة متجددة القراءة، خصبة، غزيرة المادة العلمية، جميلة الأسلوب، هي معين لا ينضب، ورافد لا ينقطع عطاؤه، مصدر لكل دارس وباحث، موسوعة تراثية ذات ظلال لسانية حداثية، يمتلك صاحبها الجرأة في التحليل، والاستنباط بقوة قريحة فذة، وتوهج ذهن، وكل هذه المزايا أدت بها إلى استحقاق الرفعة والخلود.

المبحث الخامس: شواهد المدونـة

[1]– بوهاس، جيوم كلوغلي، التراث اللغوي العربي، ص:42.

[2]– الأستاذ الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بـن جـني، الجزء الثاني، ص:131.

الشواهد جمع شاهد " وهو في اللغة عبارة عن الحاضر، وفي اصطلاح القوم عبارة عما كان حاضرا في قلب الإنسان وغلب عليه ذكره، فإن كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العلم"[1].

ويجمع أهل العلم أن الشّاهد هو النص الذي يؤتى به استدلالا واحتجاجا للقاعدة.

الدراسات اللغوية التراثية ذات ثراء وغنى بالشواهد، وتكاد تكون أبوابا قارة في جِّل المدونات التراثية.

ومدونة الخصائص واحدة من مصنفات التراث التي جاءت زاخرة بالشواهد.

كان للشّاهد عند أبي الفتح عثمان بن جني ثلاثة روافد:

5-1-الرافد الأول:

القرآن الكريم :بصفته كلام الله المعجز، المنزّه عن الخطإ، وقد كان له موقف حاسم من القراءات القرآنية، فألف كتابا سمَّاه (المحتسب في توجيه القراءات الشاذة)، ومما اشترطه في القراءة أن تكون ثابتة صحيحة السند، فإذا وافقت ذلك كانت حجة على أقيسة اللغة بصفة عامة، وكان النص القرآني أمام الأقيسة لا خلفها، " وقد التزم الاعتدال في التعامل مع النصوص القرآنية، وقبول بعضها رغم تشنيعه من قبل سائر النحاة، قال الله تعالى في الآية الكريمة﴿ **واتّقُوا اللهَ الذي تسَّاءَلونَ بِهِ والأَرْحامَ**﴾ **سورة النساء الآية (01)** ليست هذه الآية عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب أبو العباس بل الأمر فيها دون ذلك وأقرب وأخف وألطف، وذلك لأن لحمزة أن يقول لأبي العباس إنني لم أحمل الأرحام على العطف على المجرور المضمر، بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية حتى كأني قلت (وبالأرحام)[2].

وابن جني في موقفه من الاحتجاج بالقرآن الكريم يناقض أستاذه أبا علي الفارسي الذي تزعم القياس الذي يقصي الرواية الثقة إذا خالفت وجه العربية، و لا نجد شهادة تدحض رأي الفارسي وتشدُ أزر ابن جني خيرا مما قاله الأستاذ الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال: " ولله درُّ ابن جني فهو الباحث الموفَّق، ويتبيّن لنا توفيقه في بحثه من مخالفة أستاذه الفارسي في الاحتجاج للقراءات، فأستاذه زعيم القياسيين يردّ القراءة المروية إذا خالفت وجه العربية،

---

[1]- الشريف الجرجاني، التعريفات ، ص: 198.

[2]- ابن جني الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 248.

على حين نرى عالمنا العبقري هنا يخالفه ويخالف ما أخذ به هناك، فيتبع المسموع، ويقف عنده ولا يحكّم القياس أو العقل إلا فيما يثبت القراءة المروية ويوثقها، ولو كان الوجه اللغوي أو التخريج النحوي ضعيفا إلا أنه يلتمسه أين كان وحيثما وجد"[1].

وقد ساير ابن جني سائر النحاة في الاحتجاج بالقرآن الكريم، فقد أحتج بالقراءات المتواترة الموصولة السند، الموثوقة الرواية، غير أنه خالفهم في بعض تخريجاته للقراءة الشاذة، رغم تضعيف بعضها ورمي البعض الآخر بالتقصير.

لا تكاد تخلو مسألة لغوية من مدونة الخصائص من الاستشهاد بالقرآن الكريم، فهو يضعه في الطليعة شاملا بذلك كل أبواب الكتاب وفصوله، يستشهد في باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح؟ بالآية الكريمة: ﴿**وعَلّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها**﴾ **الآية (31) سورة البقرة**، ويستشهد بقوله تعالى في الموازنة بين النضح والنضخ ،وكيف أن الثاني أقوى من الأول بقوله تعالى : ﴿ **فِيهما عينانِ نضّاختانِ**﴾ **الآية (66) من سورة الرحمن**.

5-2-الرافد الثاني:

الحديث الشريف: دأْبُ اللغويين والنحاة أنهم لا يحتجون بالحديث الشريف لتظافر مجموعة عوامل منها عدم تقيد الأحاديث المروية باللفظ والمعنى، ووقوعها على ألسنة رواة أعاجم سقطوا في اللحن.

لا يَعُد أبو الفتح عثمان بن جني الحديث الشريف رافد أصليا من روافد الاحتجاج ومعظم الأحاديث المبثوثة في مدونة الخصائص ذكرها إستثناءً ليس إلا، فلم يستشهد بها لإثبات قاعدة لغوية، أو رد أخرى، يقول الدكتور فاضل صالح السامرائي :" أنا لم أجد في كتبه التي بين يدي ما يؤيد ذلك، فلم أره مرة جعل حديثا أصلا يرجع إليه في تقرير قاعدة أو إثبات نص لغوي، وإنما يورد في النادر حديثا للاستئناس به، أو الاستشهاد به، فيما لم يجزم قاعدة، ولم يقرِّر أصلا جديدا"[2].

ومما يُستنتج شحّ المدونة من الاستشهاد بالحديث الشريف للأسباب السالفة الذكر وممّا يستشهد به استئناسا و تعقيبا على الشواهد القرآنية والشعرية إيضاحا للجذر (ك ل م)

---

[1]- الأستاذ الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني، الجزء الأول، ص:158.

[2]- الدكتور فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي ، ص:133.

قوله صلى الله عليه وسلم :" من كُفي مئونة لقلقه وقبقبه وذبذبه دخل الجنة" صدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

5-3- الرافد الثالث:

كلام العرب : نعني بكلام العرب شعر الجاهلية وصدر الإسلام وكلامها المنثور، وقد كان موقف ابن جني الاعتماد على ما وافق القياس، وترك ما شذ، فهو بذلك على أثر أسلافه من علماء البصرة.

إن السماع يأخذ المركز الرّائد عند ابن جني في الأخذ بكلام العرب، حتى إنه إذا تعارض السماع والقياس- الذي يعد أحد رواده- نطقت بالمسموع :" يرى ابن جني أن السماع عند العرب هو الأساس الأول الذي يجب الاعتداد به والعمل بموجبه "[1].

لا ريب في أن ابن جني احتج بكلام العرب منظومه ومنثوره في عصر الجاهلية وصدر الإسلام إذأ كان موافقا لما سَلَفَ.

- قبول شعر المولدين معنى لا لفظًا.

- الضرورات القبيحة في الشعر لا تنفي الاستشهاد، فهو ليس دليل على ضعف لغته"[2].

حفلت مدونة الخصائص بالكثير الجمِّ من الاستشهاد بكلام العرب شعرا ونثرا، بل إن غالبيته كانت منه، ومن استشهاده في باب الحمل على المعنى قول الشاعر:

يا أيّها الرّاكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت

إن الشاهد من كلام العرب كان كالرُوح من الجسد في كتاب (الخصائص) ذلك أن هذا الكلام استعمل في تقرير القواعد والمسائل والاحتجاج لها ورد بعضها لفظا ومعنى.

---

[1]- الأستاذ الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني، الجزء الأول، ص:445.

[2]- ينظر المرجع السابق ، ص: 137.

الفصل الثاني

أثر الاعتزال في تفكير ابن جني

مستوى التنظير (المصطلح– النظرية– المنهج).

مستوى اللغــة (الاستعمـال).

مستـــوى الأحكـــام.

توطئة:

ظهر علم الكلام أول ما ظهر في بلاد العراق، البصرة، الكوفة، في بداية الخلافة العباسية باعتبار هذه الجهة من البلاد الإسلامية بوابة على غيرها من الأمم، ونقطة تلتقي عندها عدة ثقافات مع الثقافة العربية الإسلامية، ثقافات الهنود، واليهود والنصارى واليونان والفرس وغيرهم، التي كان بعضها يحمل رواسب ملل الزّيغ والإلحاد والانحراف، واعتقادات الوثنية الشرقية، فكان على المسلمين أن يسارعوا إلى المنافحة عن الدين، خصوصا ما تعلق بالعقيدة ضد هؤلاء، بعلم جديد غير معهود، سُمّي علم الكلام، فهو : "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة "[1]، ويعرّفه الشريف الجرجاني بأنه :" علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام"[2] .

وتذكر كتب التاريخ أن الإمام أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه أول من اشتغل بعلم الكلام، دفاعا عن العقيدة ضد طائفة المرجئة، في كتابه المشهور الفقه الأكبر[3].

وقد انبرى للدفاع عن العقيدة فرق كلامية شتى: " ومع كثرتها وتشعّبها يمكننا تقسيم الفرق الرئيسية إلى خمسة أقسام وهم المعتزلة، أهل السنة، الشيعة، الخوارج والمرجئة[4].

وفي خضم الازدهار الذي عرفه علم الكلام، برزت فرقة المعتزلة التي تزعمت هذا العلم على الإطلاق وهم :" أصحاب واصل بن عطاء الغزّال ، اعتزل مجلس الحسن البصري رضي الله عنه"[5] ويذكر الشهرستاني في الملل والنِّحل، بأن المعتزلة هم :" أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزّال، كان تلميذ الحسن البصري، يقرأ عليه العلوم والأخبار وكانا في أيام عبد الملك وهشام بن عبد الملك"[6].

وممّا ساعد على انتشار مذهب المعتزلة، احتضان خلفاء بني العباس له، لاسيما الخليفة المأمون والواثق، حيث أصبح الاعتزال المذهب الرسمي للدولة، وبما أن الناس على

---

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون ، دار ابن الجوزي، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى ، 2010، ص:388

[2]– الجرجاني ، التعريفات، ص: 234.

[3]– جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ص:234.

[4]– ينظر أحمد أمين، ظهر الإسلام، الجزء الرابع ، ص15.

[5]– الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، ص:308.

[6]– الشهرستاني محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، منشورات الجمل ، تح سعيد الغانمـي ، بيروت - لبنان، 2013، ص: 126.

دين ملوكهم فقد انخرط جمع غفير من العامة تحت لوائه، وقد اتخذ الاعتزال العقل سلاحًا في جدله ومناظراته، وقدّمه على النقل، إذ العقل: " جوهر مجرد عن المادة، في ذاته، مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة، التي يشير إليها كل أحد بقوله أنا، وقيل العقل جوهر روحاني، خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الإنسان"[1].

وأصول المعتزلة خمسة يسمّونها التوحيد، العدل، المنزلة بين المنزلتين، إنفاذ الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[2].

[1]– الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات ، ص: 228.

[2]– الدكتور عبد الحكيم بن محمد، مقدمة تحقيق كتاب الخصائص ، ص:15.

المبحث الأول : التنظير

ومن الأهمية بمكان معرفة الجهود التي قام بها التراثيون في استقراء وجمع كلام العرب، ومن ثمّة وضع النظريات اللغوية المختلفة، ووضعها اعتمادا على المعطيات المحصل عليها،هذه النظريات التي كان لهؤلاء شرف تقديمها بما ينطوي على ذلك من وصف وتقعيد، هذين العنصرين اللذين يعتبران الأصل في عملية التنظير للغة :" إن التنظير يُبنى على ركنين أساسين هما الوصف والتقعيد، ولا يتسنى لأي لغوي إنجازهما إلا بعد اختيار رصيد من الكلام الشفوي أو الكتابي منجزين في زمان ومكان معينين"[1].

لقد كان التأصيل لوضع نظريات لغوية دقيقة وشاملة من قبل علماء التراث، مساعداً للمحدثين على تفسير هذه النظريات، وتيسيرها، وشرحها وإخراجها بشكل مستساغ للباحث والقارئ المعاصر.

وإن مسألة التنظير عرفت حقلا خصبا في خضم السِّجال الحاصل بين صرحين علميين أفرزتهما الحركة العلمية التراثية مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة اللتين كان لهما شأن عظيم في وضع النظريات اللغوية ارتكازا على النص القرآني، وكلام العرب :" فقد ظهرت الدراسات اللغوية أول ما ظهرت في حاضرتي البصرة والكوفة جنوب العراق اللتين كانتا المركزين العلميين في أول الإسلام، وقد تعايشت فيهما العديد من المسائل والحلول المتعارضة"[2].

إذا فمدونة الخصائص من المصادر العظمى التي اهتمت بقضية التنظير، وكان لصاحبها الباع الطويل في تأصيل هذه المسألة، ولعله أعظم مصدر لغوي تناول هذه القضية بعد كتاب سيبويه وآراء الخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم لأبي الفتح عثمان بن جني استيفاء لكلّ معالـم وضع النظرية، بما تقتضيه الكلمة من معنى، حيث كان لغويا حرا بعيدا عن التقليد، اللهم إلا في المسائل اللغوية الكبرى التي أجمع حولها العلماء.

والحسّ اللغوي الاعتزالي الذي لا خلاف فيه عند العلامة أبي الفتح عثمان بن جني والذي سبقت الإشارة إليه في المدخل، انعكس على تفكيره اللغوي بشكل عام، وعلى مستوى

---

[1]– توفيق قريرة ، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب ، دار محمد علي للنشر، صفاقس– تونس ، الطبعة الأولى، 2003 ، ص: 220.

[2]– بوهاس ، جيوم، كولوغلي ، التراث اللغوي العربي ، ص: 35.

التنظير عنده بشكل خاص، ومن العناصر الأساسية التي تندرج تحت هذا الباب قضايا المصطلح، النظرية، المنهج.

1- المصطلح:

في خضم الحركة العلمية الواسعة والنضج الحضاري الذي عرفته الإنسانية حديثا في شتى العلوم والآداب والفنون، كانت الحاجة إلى وضع علم المصطلح الذي يضبط المفاهيم ويضع حدودا فاصلة بينها، من هذا المنطلق كان الاختلاف سائدا بين الباحثين حول هذه المسألة، فكانت تعريفاتهم تتعلق بوضع لفظ لمفهوم خاص بمدلول علمي أو أدبي أو فني أو غير ذلك، واشترطوا في ذلك دقة العلاقة بين اللفظ ومدلوله، حتى لا يحدث اللبس وتتداخل المعاني، وتنتج بذلك دلالات غير مقصودة.

يرى الدكتور قاسم الشّارة أن: " المصطلح لفظ موضوعي، تواضع عليه المختصون بقصد أدائه معنى معينا بدقة ووضوح شديدين، بحيث لا يقع أي لبس في ذهن القارئ أو السامع لسياق النص العلمي، فالمواضعة هي أساس إنشاء المصطلح"[1].

نزوع أبي الفتح عثمان بن جني إلى مذهب الاعتزال فرض عليه ثلاثة مظاهر مصطلحاتية، مظهر مصطلحاتي لغوي، مظهر مصطلحاتي فقهي، مظهر مصطلحاتي كلامي، وهذه التّمظهرات جاءت مطردة في كل مصنفاته التي تربو على الخمسين لا سيما مدونة الخصائص.

والذي تجدر الإشارة إليه، وللضرورة التي يقتضيها البحث فإننا سنتناول مصطلحي الفقه، وعلم الكلام، باعتبار هذين المصطلحين المكوِّنين الرئيسيين والركنين الأساسيين للفلسفة الاعتزالية عند أبي الفتح عثمان بن جني.

وقد كان أبو الفتح عثمان بن جني شديد التأثر بأصول الفقه وعلم الكلام، ويتجلى هذا التأثر على مستوى وضع المصطلح، ويمكننا جمع هذه المصطلحات مرتّبة حسب النسخة التي حققها الدكتور عبد الحكيم بن محمد، ثم نتناول ذلك بالشرح والدراسة كلاً على حدى.

تقديم المصطلحات: مصطلح الاستحسان، مصطلح تخصيص العلل، مصطلح القياس مصطلح العامل، مصطلح العلة الموجِبة والعلة المجوِّزة، مصطلح إدراج العلل، مصطلح الدّور،مصطلح ترافع الأحكام، مصطلح النقض ،مصطلح الحُكم يقف بين الحكمين .

[1]- الدكتور قاسم الشارة، تعريب المصطلح العلمي إشكالية المنهج ، عالم الفكر، د ط، سنة 1989، ص: 84.

1-1 مصطلح الاستحسان:

من المصطلحـات الشائعة عند علماء الأصول وبالأخـص الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، والاستحسان:" اسم لدليل من الأدلة الأربعة، يعارض القياس الجلي، ويعمل به إذا كان أقوى منه"[1].

عمل ابن جني على إسقاط هذا المصطلح الفقهي على المسائل اللغوية، وقد اعتبره بداية ضعيف العلة غير مستحكم لكنه يحيل إلى الاتساع والتصرف، بعد ذلك ذكر أنواع الاستحسان وهي ترك الأخف إلى الأثقل كالألفاظ الفتوى التقوى على وزن فَعلى ،قلب الياء من غير استحكام، إلحاق نون التوكيد باسم الفاعل تشبيها للفعل المضارع واستشهد بقول الشاعر:

أريت إن جئت به أملودا مُرجّلا ويلبس البرودا

أقائلن أحضروا الشهودا[2]

والاستحسـان في عـرف الأصوليين إخراج مسألة جزئية من مسألة كلية مع اطمئنان النفس، وهناك فرق بينه وبين القياس :"فالقياس حمل مسألة غير منصوص عليها، بمسألة أخرى منصوص عليها، لإتحاد العلة فيهما، أما الاستحسان فهو العدول بالمسألة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر، لوجه أقوى، يقتضي العدول"[3].

والذي يثير اهتمامنا في هذا الأصل، كونه يميل إلى الاستدلال بالعقل، وذلك في بعض أنواعه، فالاستحسان: "استحسان بالضرورة، استحسان بالإجماع، استحسان بالعقل استحسان بالمصلحة"[4].

وقد سمّى الأصوليون الاستحسان بالعقل، الاستحسان بالقياس :"وهو العدول عن حكم النظائر إلى آخر، لأجل دليل عقلي غير ظاهر، في اقتضاء هذا العدول"[5].

والأخير من ضروب الاستحسان هو الذي يستدل به المتكلمون وعلماء أصول الفقه في تخريج المسائل الكلامية و الفقهية.

---

[1]-الشريف الجرجاني، التعريفات ، ص: 76.

[2]- ينظر ابن جني الخصائص ، الجزء الأول ، ص :131/130.

[3]- الدكتور خالد رمضان حسن ، معجم أصول الفقه، الروضة للنشر والإشهار، د ط ، ص: 30.

[4]- ينظر المرجع نفسه ، ص: 32/31.

[5]- المرجع نفسه ، ص: 31.

1-2 مصطلح تخصيص العلل:

يقول الشريف الجرجاني في تعريفه للعلة أنها: " الركن الرابع من أركان القياس، بل هي أساسه ومرتكزه وركنه العظيم، والعلة من حيث كونها ركنا للقياس هي وصف مشترك بين المقيس عليه والمقيس، ليُبتنى عليه حكم المقيس عليه، ولأجله يتعدى منه إلى ما يقاس عليه"[1].

أما تخصيص العلة فإنه: " تَخلُّف الحكم عن الوصف المدّعى عليه في بعض الصور لمانع، فيقال الاستحسان ليس من باب خصوص العلل، يعني ليس بدليل مخصص للقياس، بل عدم حكم القياس لعدم العلة "[2]

ويحاول ابن جني إيجاد علاقة بين علل الفقه وعلل النحو، من خلال ربطه علل اللغة بعلل الفقه ، وأن ذلك مدعاة للتخفيف، ويضرب مثلا لذلك في تصحيح كلمتي ميزان وميعاد فتصبح موزان وموعاد ، وإن كانت هذه الشواهد تخالف القياس ، كما أقر أن علل المتكلمين معارضة لعلل اللغة ، فاجتماع السواد والبياض ، والحركة والسكون يستحيلان في آن واحد"[3].

1-3- مصطلح القياس:

علم أصول الفقه كما هو معلوم سابق زمنيا على علم أصول النحو، وبما أن الأمر كذلك فإنّ هذا المصطلح وجد مكانته في هذا الأخير عبر تأثر اللغويين والنحاة بالأصل الرابع من أصول الفقه وهو القياس، يقول الدكتور السيد أحمد عبد الغفار متناولا موضوع القياس الفقهي: " وقد يعزى ذلك إلى اختلاف تصور مفهومه باختلاف المجتهدين فضلا عن مصاحبته للحياة الفقهية منذ نشأتها"[4].

والقياس كمصطلح شامل لمستويات اللغة :" يقصد به أن يقوم المتكلم العربي أو المجتهد النحوي بإخضاع مثال أو باب لحكم مثال آخر أو باب آخر، على أن تكون هناك

---

[1]- الشريف الجرجاني، التعريفات ، ص: 231/230.

[2]- المصدر نفسه ، ص :116

[3]- ينظر فاضل صالح السامرائي، ابن جني النحوي ، ص : 158 .

[4]- الدكتور السيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية مصر، ص :44.

علاقة تماثل أو تشابه أو اطراد أو تضاد بين المحمول والمحمول عليه، وهذه العلاقة أو الجامع تسمّى العلة"[1].

وللقياس عند اللغويين وعند أبي الفتح عثمان بن جني أربعة أركان هي المقيس عليه والمقيس، العلة، الحكم.

1-4- مصطلح العامل:

مصطلح تأثر فيه كثيرا ابن جني بعلماء الكلام والفقه، وأخذ جانبا من مدونة الخصائص، حيث يرى ابن جني كسائر اللغويين والنحاة: " أن لكل معمول عاملا كما أن كل معلول لا بد له من علة، وكل معمول له عامل واحد فقط"[2].

ويذهب ابن جني إلى تصنيف العوامل في كتابه (الخصائص) إلى عوامل لفظية عوامل معنوية، عوامل لفظية معنوية.

1-5-العلة الموجبة والعلة المجوِّزة:

يُصنِّف ابن جني العلل صنفين علة موجبة، وعلة مجوِّزة، فالعلة الموجبة أكثر شيوعا من المجوزة، ويعقد لذلك شواهد كنصب الفضلة ورفع المبتدأ، والعلة المجوزة كقلب واو وقتت همزة " أقتت" ، ويفرّق بين العلة والسبب ويسمى الأولى العلة الموجبة والثانية العلة المجوزة ويرى أن أكثر العلل مبناها على الإيجاب،: "وضرْبُ آخر يسمى علة وإنما هو في الحقيقة سبب يُجوِّز ولا يوجب، من ذلك أسباب الإمالة، فإن كل مُمال لسبب لك أن تترك إمالته مع وجود السبب، فهذه إذن علة الجواز لا علة الوجوب"[3].

وإذا عدنا إلى هاتين العلتين بشيء من التفصيل والدقة لاحظنا أن الأولى أي العلة الموجبة تسمى علة، بينما تسمى المجوزة سببا.

ويرجع الدكتور تمام حسان تقسيم النحاة العلل إلى موجبة ومجوزة على دعامة وأساس يحفظ للعربية معياريتها: " ولقد كان تقسيم النحاة العلل إلى موجبة ومجوزة فتحا لباب من

---

[1]- خالد بن سليمان بن مهنا الكندي، التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث ، دار المسيرة، عمان – الأردن ، ط 1 ، 2007 ، ص:75.

[2]- فاضل صالح السامرائي، ابن جني النحوي ، ص:192.

[3]- المرجع نفسه، ص: 161.

العبارات المعيارية، التي حفلت بها كتب النحو، والصرف، والبلاغة، فهذا مرفوع وجوبا وذلك منصوب جوازا، ويجب كذا، ويجوز في ذلك الأمران"[1].

فالعلة الموجبة كعلة رفع المبتدأ والفاعل ونائبه، أي ما يكون منها وقوع الحكم واجبا أما العلة المجوزة (السَّبب) ما خُيِّرت فيها اللغة على وجه الجواز.

1-6 -مصطلح إدراج العلل:

تناول ابن جني هذا المصطلح من حيث اجتماع الهمزتين فقلبت الثانية واواً لوقوع الضم قبلها، وعلة ذلك اجتماع همزتين غيرعينين مستثقلتين نحو أواسيك، أو أخيك"[2].

1-7 -مصطلح الدّور:

يقول صاحب التعريفات في الدّور بأنه: " توقّفُ الشيء على ما يتوقف عليه، ويسمى الدّور المصرّح، كما يتوقف أ على ب أو بالعكس، أو بمراتب ويسمى الدور المضمر، كما يتوقف أ على ب، ب على ج، و ج على أ "[3].

ويبدو أن ابن جني قد استلهم هذا المصطلح من الفقهاء والمتكلمين ونخص بالذكر أبا حنيفة النعمان بن ثابت، تناول دور الاعتلال وجوب إسكان اللام نحو ضربْنَ.

الوقوف على أول رتبة نحو قويت قواءة للمذكر، وقواوة للمؤنث"[4]

1-8 -مصطلح ترافع الأحكام:

من مصطلحات الفقهاء والمتكلمين التي أطلقها ابن جني على المسائل اللغوية، ومفاد هذا المصطلح التداول في العقاب بين حركة العين وتاء التأنيث، فهما يجريان مجرى الضدين المترافعين نحو حبِط حَبَطا، فإذا ألحقت التاء أسكنت العين نحو مَغِل مغْلة "[5].

1-9 - مصطلح النقــض:

من مصطلحات المناطقة والمتكلمين استعاره ابن جني للاستدلال على بعض الأحكام اللغوية، خصص هذا المصطلح في:

---

[1]- تمام حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، دار عالم الكتب ،القاهرة- مصر، د ط ، 2006، ص: 54.

[2]- ابن جني ، الخصائص، الجزء الأول ، ص : 165 .

[3]- الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص: 173.

[4]- المصدر السابق، ص: 185.

[5]- فاضل صالح السامرائي، ابن جني النحوي ص : 320 .

- نقض العادة: تغير الأفعال بتغير الصيغ كزيادة الهمزة في اللازم ليصبح متعديا نحو قام، أقام.

- الامتناع عن نقض العادة: كالامتناع عن تعريف الفعل، وتنوينه.

1-10- مصطلح الحكم يقف بين الحكمين:

من المصطلحات التي استلهمها ابن جني من المعتزلة إذ هناك إسقاط للمنزلة بين المنزلتين التي تعد من أعظم أصول المعتزلة، ويعنون بذلك: " أن الفسق منزلة بين المنزلتين لا كفر ولا إيمان، فالفاسق ليس مؤمنا ولا كافرا، بل هو في منزلة بين المنزلتين"[1].

تناول ابن جني هذا الأصل من الأصول الخمسة للمعتزلة في باب الحكم يقع بين الحكمين مسقطا إياه على الكسرة قبل ياء المتكلم، إذ هي ليست حركة إعراب ولا علامة بناء نحو كتابي.

2- النظريـــة

نزوع أبي الفتح عثمان بن جني نحو مذهب الاعتزال ثابت لا يخامره شك كما تقدم معنا في المدخل، هذا النزوع ترك انطباعا جليا على مستوى النظرية في مدونة الخصائص، لكن قبل الولوج إلى هذه المسألة، تجدر بنا الإشارة إلى حقيقة بواعث وضع النظرية اللغوية عند سابقيه، ونخص بالذكر شيوخه الخليل بن أحمد، وسيبويه.

كان لدخول الأعاجم، وتهافتهم على اعتناق الدين الجديد أهم البواعث التي دفعت الغيورين على لغة الضاد إلى إيجاد منظومة نظرية لغوية تحفظ القرآن الكريم من لحن الوافدين الجدد، ومن هنا بدأ التنافس بين العلماء في وضع نظريات للغة تكون كفيلة بضبط التلاوة، تلاوة القرآن الكريم وحفظه من اللحن.

وفي خضم التنافس الحاصل بين حاضرتي العراق المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية، ومن خلال هذا التفاعل نشأ تباين على مستوى تسمية المصطلح ووضع النظرية، ويعد سيبويه أهم الشخصيات اللغوية التي صنَّفت في هذا الإطار.

ومن المعلوم أن أقدم كتاب في نحو العرب يصلنا كاملا هو كتاب سيبويه، وقد كان على درجة كبيرة من النضج المنهجي، والاكتمال المضموني، مما يدل على أنه كان ثمرة

[1]- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، الجزء الثالث ، ص:52.

ناضجة لمرحلة من المخاض والتفكير البدئي في النظرية النحوية"[1].

وممّا لا شك فيه أن ابن جني قد قدّم للدرس اللغوي العربي القديم إضافات جليلة تنُم عن عبقرية فذة مجدّدة في المصطلح ،والنظرية ،والتقعيد، وواضع لإرهاصات مؤسسة ،ومؤصلة لعلم لساني عربي خالص.

وفي تراث ابن جني وتفكيره اللغوي في الخصائص، وسر صناعة الإعراب، وما فيها من إضافات وضعها هذا العالـم خلال القرن الرابـع الهجـري، ومن ذلك كلامه عن مقاييس اللغـة، وخصائصها المبرمجة على امتداد أديم ممارسته، وتفاصيل أبوابه في هذه القضية التي خاض غمارها بالتدبّر والتمعّن، وخرج بإنجاز غير مسبوق في المنهج والمصطلح والمفهوم، وأسلوب التعامل مع المادة اللغوية"[2].

وكما هو معلوم فإن ابن جني و أبا علي الفارسي لغويان معتزليان في التفكير والمذهب: " وكان ابن جني هو وشيخه أبو علي الفارسي وهما معتزليان من أكثر الناس إلماما بهذه القضية"[3].

وسنقدم استعراضا وجيزا لأهم النظريات التي اشتملت عليها مدونة الخصائص.

2-1نظريات العلل :

أخذ مفهوم العلة عند اللغويين خاصة منحى مغايرا لجهود الخليل وسيبويه ومن تبعهم، هذا المفهوم مؤداه أنه :"إذا ما اقترنت ظاهرتان وجودا وعدما فإنهم يعتبرون إحدى الظاهرتين علة وسببا للأخرى"[4]، غير أن النحويين في القرن الرابع الهجري قد تطور عندهم مفهوم العلة إلى كونها:" مفهوم العلة عند النحويين قد أخذ مفاهيم مختلفة قبل أن يستقر في معناها الشائع المعروف فللعلة في كلامهم صور شتى يجمع ما بينها معنى السببية، فقد كانوا يطلقون اسم العلة على مختلف القواعد أو القوانين النحوية التي يستنبطونها من استقراء الكلام"[5].

---

[1]- توفيق قريرة، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب ، ص: 07.

[2]- بلملياني بن عمر، تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث دي سوسير أنموذجا ، ص: 03.

[3]- الوراق محمد بن عبدالله ،علل النحو، تح محمود محمد محمود نصار، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط 3 ، 2013 ، ص : 131 .

[4]- المصدر نفسه، ص: 106.

[5]- نفسه، ص: 106.

وقد عقد ابن جني بابا في مدونة الخصائص سماه "باب ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية" قدَّم طرحا في هذا الباب مفاده أن علل النحو أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل الفقهاء وذلك لسببين:

- علل النحويين تحيل على الحس اللغوي على عكس علل الفقهاء.
- علل الفقهاء التي ما هي إلا أعلام وأمارات لوقوع الأحكام"[1].

2-2- نظرية تخصيص العلل:

يتطرق فيه ابن جني إلى العلل وما هو لاحق بها بعلل المتكلمين، ويصنفها قسمين أحدهما تابع لعلل المتكلمين وثانيهما يجوز ولا يقتضي الوجوب[2].

تفيد نظرية تخصيص العلل استيفاء وشرحا لما تقدم أن الأول واجب لا بد منه كقلب الألف واواً لضمة قبلها نحو ضارب ضويرب وقرطاس قريطيس، والثاني أنه يمكنك احتمال مشقة تصحيح الواو بعد الكسرة نحو عصفور وعصافِوْر[3].

2-3- نظرية العلة الموجبة والعلة المجوزة:

يخصص ابن جني بابا سماه " باب الفرق بين العلة الموجبة والعلة المجوزة"[4] تفيد هذه النظرية أن العلة ضربان علة مبنية على الإيجاب كرفع المبتدأ والخبر، وعلة مجوزة لا واجبة يسميها ابن جني السبب ويضرب مثالا لذلك بالنكرة الواقعة بعد المعرفة التي يتم الكلام قبلها نحو مررت بزيد رجل صالح، ومررت بزيد رجلا صالحا، فتكون الأولى على البدل والثانية على الحال[5].

2-4 نظرية إدراج العلل واختصارها:

تتناول هذه النظرية علة التغير في أواسيه وهو اجتماع همزتين ولاستثقال ذلك قلبت واواً لمناسبة حركة ما قبلها[6].

---

[1]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص : 57.

[2]- ينظر بلملياني بن عمر ، تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث ، ص : 82 .

[3]- فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي ، ص: 161/160.

[4]- ابن جني الخصائص، الجزء الأول ، ص: 153.

[5]- ينظر المصدر نفسه ، ص: 153.

[6]- ينظر نفسه ، ص: 165.

النظرية التي تندرج ضمن مصطلح الدور تتمحور في اشتراك طرفين في الحكم لعلة جامعة مشتركة في كل منهما، أي أن الطرف الأول يأخذ الحكم لعلة موجودة في الطرف الثاني، ثم يأتي تباعا الطرف الثاني فيأخذ الحكم الموجود في الطرف الأول، ثم تتطرق النظرية أي الدور والوقوف فيه على الرتبة الأولى.

النظرية اللغوية التي تندرج تحت مصطلح ترافع الأحكام مضمونها الترافع القائم بين حركة العين وتاء التأنيث، فهما يجريان مجرى الخصمين المتحاكمين، فتارة تسقط التاء حكم الحركة ،وطورا تسقط الحركة حكم التاء.

النظرية اللغوية التي تتضمن مصطلح النقض، حيث راح ابن جني يستخدم هذه النظرية في تغير صيغة الأفعال، وانقلابها إلى الضد كاللزوم والتعدي، فصيغة أفعل تجعل الفعل متعديا، غير أن بعض صيغ أفعل غير متعدية ،وصيغة فعّل متعدي نحو أنزف البئر ونزّفتها[1].

صياغة اسم المفعول من صيغة أفعلته فهو مفعول، وقوة صيغة المفعول على الفاعل عند العرب، ثم مجيء مفعول وفاعل على صيغة حرف الزيادة.

امتنعت العرب من نقض أغراضها في الحالات التالية:

- امتناع من إدغام الملحق.
- امتناعهم عن تعريف الفعل.
- امتناعهم من إلحاق مِن بأفعل إذا عرّف باللام.
- امتناعهم من تنوين الفعل[2].

تحت باب الحكم يقف بين الحكمين فثمة حركة لا هي إعراب ولا هي بناء كالكسرة التي تسبق ياء المتكلم.

- وقوع بعض الأسماء وسطا بين المنصرف وغير المنصرف[3]..

[1]– ابن جني الخصائص، الجزء الأول ، ص: 143/142.

[2]–ينظر نفسه ، الجزء الثالث، ص165–169.

[3]–ينظر نفسه ، الجزء الثاني، ص241.

2-5- نظرية العامل:

يعد أبو الفتح عثمان بن جني من أشد علماء اللغة المتحمسين لنظرية العامل، وكما هو معلوم فإن هذه النظرية تستمد أصولها عندهم من المناطقة وعلماء الكلام، يقول الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي: " إن أبا الفتح لا يختلف كثيرا في موقفه من هذه النظرية وإيمانه بها وتطبيقها في دراساته وبحوثه عن سائر النحاة، فقد جعلها دستورا له كشأن سائر النحويين، يرجح بها ما يراه راجحا ويرفض بها ما يراه خطأ، وآراؤه فيها واضحة منتشرة في سائر ما يكتب"[1].

ابن جني كان مولعا بنظرية العامل، وخصّص لها حيّزا هاما في مؤلفاته لا سيما مدونة الخصائص، اقتفى في ذلك أثر علماء القرن الرابع الهجري أمثال الزجاجي، والفارسي: "حقيقة الأمر بدءاً من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، بذل الزجاجي، وابن جني جهودا عظيمة ليؤكدوا أن النحاة لا يقصدون من كلمة تعمل في كلمة أخرى أن هذه الكلمة تؤثر فيها فعلا، حيث يؤثر بعضها في بعض كتأثير بعض الأجسام في بعض"[2].

2-5-1 أنواع العامل عند ابن جني:

يقول الدكتور فاضل صالح السامرائي: " نستطيع أن نقول : أن أبا الفتح كان يرى أن العوامل ثلاثة: العامل اللفظي، العامل المعنوي، العامل اللفظي المعنوي[3].

يعتبر ابن جنــي أن العامل اللفظي ما سببه لفظ، العامل المعنوي ما كان عاريا من لفظ يسببه " وإنما قال النحويون عامل لفظي وعامل معنوي، ليُروك أن بعض العمل يأتي مسببا عن لفظ يصاحبه، كمررت بزيد، وليت عمراً قائما، وبعضه يأتي عاريا من مصاحبة لفظ يتعلق به، كرفع المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم، هذا ظاهر الأمر وعليه صفحة القول فأما في الحقيقة، ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا شيء غيره"[4].

ومن عبارة ابن جني: " فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره" تظهر نزعته الاعتزالية القائلة بأن الإنسان خالق أفعاله.

---

[1]- فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي ، ص: 192.

[2]- بوهاس ، جيوم، كولوغلي ، التراث اللغوي العربي ، ص: 97/96.

[3]- المرجع السابق، ص: 194.

[4]- ابن جني الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 111.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عوامل لفظية ومعنوية معا، فالرفع في المبتدأ يتنازعه عاملان عامل لفظي وعامل معنوي هو الابتداء.

ومما يجب ذكره أن ابن جني في بحثه لنظرية العامل تأثر بعلم الكلام وأصول الفقه، فقد استقى آراءه من هذين المعينين.

وعندئذ كان ابن جني متفوقا في رسم ملامح نموذج دقيق في التقعيد لنظريته اللغوية، ووصفها بعناية، يقول الدكتور بلملياني بن عمر في هذا الصدد: "والمنهج الذي يتوخاه ابن جني في تقعيد نظريته ووصفها، إنما هو درس نموذجي لدارس اللغة وباحث شؤونها، على النحو الذي يريده أبو الفتح، سواء من جهة ما كان إيجابيا في التراث ومعاصرا له، حتى يتبلور ذلك كله في إيجابية التفكير لديه، لقاء ما يتوافق وقوعه فيما بعد مع منهج اللسانيات الحديثة"[1].

2-5-2 المسوغات المنطقية لنظرية العامل:

نزوح التركيب العربي إلى الشكلية عزّز من تأثره بنظرية العامل، كما أن حركات الإعراب تنجم عنها قرائن تتضح في حركات الكسر، والنصب والرفع: " ذلك أن الأصوات التي هي حركات الإعراب تصحب دوما قرائن لفظية، وتنتظم معها في تركيب خاص، فالأحرف التي تسمى جارة يقترن الاسم بعدها أبدا بحركة الكسر، وإن وأخواتها لا تنفك الأسماء بعدها من النصب والرفع، وقل مثل ذلك في التراكيب التي تقترن فيها الأسماء أو الأفعال المضارعة بالنصب أو الجر أو الجزم"[2].

وفكرة نظرية العامل مستمدة من علم التوحيد الذي دار فيه الجدل بين مدارس فكرية ومذاهب فقهية شتى، لنجد اللغويين والنحاة يعملون جاهدين متأثرين بروح العصر السائدة آنذاك على جر هذه النظرية للاستفادة منها في وصف لغتهم والتقعيد لها على هذا المنوال :"لم يستطع النحاة التحرر من منهج وأفكار العصر، فسمّوا القرينة اللفظية التي يصاحبها في الاسم بعدها، أو في الفعل المضارع حركة خاصة، سمّوها عاملا لفظيا، ثم قادهم هذا التأثير بعلم التوحيد إلى تصورات ذات نزعة لغوية، فزعموا أن هذا العامل مؤثّر، وأن له قوة خاصة، فانتهى بهم المطاف إلى افتراضات ذات أبعاد غيبية"[3].

---

[1]- بلملياني بن عمر، تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث ، ص: 39.

[2]- الدكتور محمد خير الحلواني ، أصول النحو العربي، الأطلس للنشر، الرباط – المغرب ، د ط 1983، ص: 138.

[3]- ينظر نفسه، ص 139.

3- المنهج

الذي لا خلاف فيه أن أبا الفتح عثمان بن جني كان معتزليا، أعلنها صراحة في تصنيفه مدونة الخصائص "وذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه"[1].

وهذا الانتماء قد فرض على ابن جني الالتزام والانضباط في التّقيد بمذهبه الاعتزالي، انضباطاً في وضع المصطلح، وفي تقعيد النظرية، والالتزام بالمنهج.

وقد جعل ابن جني منهج المتكلمين لاسيما مذهب الاعتزال فضاء رحبا لمعالجة مسائله اللغوية وفقه: " وأما ابن جني فقد نحا في كتاب الخصائص منحى جديدا طريفا يدل على تذوقه اللغة، وتوسعه فيها، رأى الفقهاء، وضعوا للفقه أصولا فأراد أن يضع للغة أصولا"[2].

وفيما يستدل على التزام ابن جني بمذهب الاعتزال اعتقادا وإجراء قوله :" وليس يريد النحويون بالصفة ما يريد المتكلمون بها من نحو القدرة والعلم والسكون، والحركة، لأن هذه الصفات غير الموصوفين بها، ألا ترى أن السواد غير الأسود والعلم غير العالم، والحركة غير المتحرك، وإنما الصفة عند النحويين هي النعت والنعت هو اسم الفاعل أو المفعول"[3].

إذًا ابن جني كان ينسج مسائله اللغوية على منوال المناطقة والمتكلمين، فالأكيد أنه يتقصى نظرياته وأحكامه، ويتحرى نتائجه وفق المسلك الذي انتهجه، فأصبح ذلك جليا ظاهرا في الأنظمة اللغوية والمستويات التي عالجها في مدونة الخصائص.

وقد استفاد صاحب الخصائص من طرائق بحث علماء الكلام المعتزلة، وطبقها منهجيا على مباحثه اللغوية المختلفة في مدونة الخصائص.

1- نماذج من تجليات منهج الاعتزال في مدونة الخصائص:

1-المنزلة بين المنزلتين: إسقاط هذا الأصل من أصول المعتزلة على نظرية نحوية سماها " الحكم يقف بين الحكمين"[4] وقال بها في كون الحركة بعد ياء المتكلم لا هي إعراب، ولا هي بناء.

---

[1]- ابن جني الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 17.

[2]- أحمد أمين، ظهر الإسلام ، الجزء الرابع ، ص: 56.

[3]- الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال ، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني ، الجزء الأول ، ص: 113.

[4]- ينظر ابن جني ،الخصائص ، الجزء الثاني، ص :241 :

2-في أصول النحو: سار أبو الفتح على الخط الذي رسمه الفقهاء وعلماء الكلام، في إسقاط منهجهم على المسائل اللغوية التي كانت مناط بحثه ودراسته، لذاجاءت مدونة الخصائص حافلة على مستوى المصطلح والإجراء ، بل يُعد كتاب الخصائص نمط فريد وتعبير صادق لمدونة لغوية ذات ظلال فقهية وكلامية.

ومما يمكن ذكره في هذا الشأن أنه احتذى حذو المتكلمين في مجال العلل على مستوى اللغة والمصطلح والنظرية، وكل هذه العناصر تؤسس للمنهج.

وقد أبان ابن جني في الكثير من تعقيباته أن مدونة الخصائص مضمونها خصائص العربية، وأصول النحو، وأن هذا البحث اللغوي المعمق جاء على سمت المتكلمين والمناطقة :" فهو يذكر أن موضوع كتاب الخصائص هو أصول النحو على طريقة المتكلمين والفقهاء، إنه ليس مبنيا على حديث وجوه الإعراب، وإنما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام، وكيف بدء وإلام نحي"[1].

وإنّ له مجهوداً كبيراً في تثبيت أصول النحو، وتدعيمها، إن لم يكن له الجهد الأكبر في ذلك، وقد ألف في هذا الشأن كتاب الخصائص على طريقة الفقهاء والمتكلمين"[2].

والمستفاد من تحرّي منهج ابن جني في عرضه مسائله اللغوية في مدونة الخصائص أنه أبرز هوية المتكلمين والمناطقة في بحوثه، مما ينعكس على طريقة بسط آرائه.

وكتاب الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني أصدق مدونة تنمّ عن تأثر صاحبها بعلم الفقه والكلام، تأثر بهم في لغته وأسلوبه، ومنهج بحثه في التعليل والقياس خاصة.

وانضباط ابن جني شديد في الأخذ عن أكابر علماء المعتزلة في حقل اللغة، فهو لا يفتأ يذكر آراءهم ويستشهد بها في طيات مدونة الخصائص، وبين ثناياها من حين لآخر، لا سيما إذا تعلق الأمر بشيخه أبي علي الفارسي: " وكان أبو علي – رحمه الله– يقول في هيهات، أنا أفتي مرة بكونها اسما سمي به الفعل كصه ومه، وأفتي أخرى بكونها ظرفا على قدر ما يحضر في الحال[3].

---

[1]– ينظرالدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال ، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني، الجزء الأول ، ص: 135.

[2]– الدكتور فاضل صالح السامرائي، ابن جني النحوي، ص:326/325.

[3]– ابن جني الخصائص، الجزء الأول، ص 183.

2-1 القياس:

فهذا الأصل تقاطع فيها منهج المتكلمين والفقهاء مع منهج علماء اللغة، وقد استعمل أبو الفتح عثمان بن جني هذا الأصل كما هو حاله بكل أركانه في الحياة الفقهية، فقد نقل القياس بأركانه المقيس والمقيس عليه والعلة الجامعة والحكم .

والقياس الأصل الرابع من أصول الفقه، وبما أن ابن جني كان يدين بمذهب الأحناف :" فكتبه شاهدة على ذلك، إذ يرد فيها ذكر أعلام المذهب الحنفي كأبي حنيفة النعمان إمام المذهب، وأبي يوسف ت(182هـ)، ومحمد بن الحسن الشيباني ت(189هـ) صاحبيه، والإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصَّاص ت(370هـ) كبير فقهاء الحنفية في عصر ابن جني"[1].

ومن مظاهر وتجليات تأثر ابن جني بالفقه الحنفي أنه كان يعدل في القاعدة في تعارضها مع الفرع، وجعلها تتضمّنه، :" فإذا نشأ تعارض بين القاعدة والفروع حوّروا القاعدة بما يجعلها تتضمن هذا الفرع، أو بعبارة أخرى أدرجوا الفرع تحتها بما يجعلها تشمله وتنطبق عليه"[2].

معالجة ابن جني المسائل اللغوية في مدونة الخصائص وفق منهج المتكلمين الذين يعرضون قضاياهم بالإطالة، والتوسع في استنباط القواعد، وإثبات النظريات، وإرسال الأحكام: " ويكاد أسلوب التصنيف يكون واحدا عند متقدمي المتكلمين ،والأحناف من حيث الإطالة والبسط في تلك المحاولة الدائبة لتوصيل المعنى المقصود إلى فهم السامع"[3].

وللاستدلال على هذا الرأي نجده في باب القول على الإعراب يطيل في تقديم مدلولات الكلمة، ويقلبها على كل الأوجه الدلالية المحتملة، ويستطرد في ضرب الأمثلة والشواهد ما أمكن ذلك.

إذا هناك توافق كبير بين مذهب ابن جني ومذهب الأحناف، فقد كان يقتفي أثرهم، لأن أبا حنيفة يلتزم بخط التحليل العقلي للمسائل الفقهية، وهذا ما نراه جليا في المذهب اللغوي عند ابن جني وأستاذه الفارسي:" فالمذهب الحنفي يعتمد على العقل، والنظر كثيرا في

---

[1]- الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال ، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان ابن جني ، ص : 183.

[2]- الدكتور السيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، ص: 40.

[3]- نفسه ، ص: 40.

الاستدلال على الأحكام الدينية، وكذلك مذهب الأستاذ وتلميذه يعتمد عليهما في تعليل الأحكام اللغوية والنحوية"[1].

2-2 العلــة:

التزام ابن جني بهذا الركن من أركان القياس على سمت المتكلمين رغم البون الشاسع بين علل النحو وعلل الفقه.

فعلة الفقه استنباط أمر واجب في نص مقدس، غير أن علة النحو هي وصف يلتمس الحكمة في اتخاذ الحكم[2].

وبصْمة وتأثير المذهب الحنفي جلية للعيان على مستوى المنهج في العلة: " إذ نجد لها في كتاب الخصائص أبوابا فيها تخصيص العلة، والفرق بين العلة والسبب، وتعارض العلل، والعلة المتعدية والعلة القاصرة، والمعلول بعلتين، وهذا الاهتمام بالعلة ناتج من أن المذهب الحنفي عدّ العلة الركن الوحيد في القياس وما عداها شرائط"[3].

ومن جانب آخر قد ذهب ابن جني في تضعيف الاستحسان مذهب الأحناف :" ابن جني عدّ الاستحسان من أدلته غير أن علته أضعف العلل غير مستحكمة، وهي نوع من الاتساع، وهذا من أدلة الحنفية"[4].

فالقياس بأركانه مناط عمل العقل، وأداة تفعيله، ومذهب الاعتزال ينزع إلى تقديم العقل في المناظرات والجدل، أو في معالجة ووصف وتقعيد المسائل اللغوية :" الاعتزال كما تعلم منهج يستند إلى تحكيم العقل مع المحافظة على الدين، وهو منهج في البحث والتجربة والاستدلال العقلي، والشك والقياس"[5].

وقد اعترف ابن جني في مدونة الخصائص بأثر منهج المعتزلة علماء الكلام فيما يبحث من مسائل:" اعلم أن علل النحويين، وأعني بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفافهم

---

[1]- الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال ، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني ، الجزء الأول ، ص: 122.

[2]-ينظر الدكتور بكري عبد الكريم، أصول النحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى ، 1999، ص: 55.

[3]- الأستاذ الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي، أصالة النحو العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الأولى ، 2005 ، ص: 94/93.

[4]- نفسه ، ص: 94.

[5]- نفسه ، ص :103.

المستضعفين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين، وذلك إنما يحيلون على الحس، ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس، وليس كذلك حديث علل الفقه"[1].

ومن أسباب التعليل :" الاستحسان بالخفة أو الثقل والأنس بالشيء أو الاستيحاش منه، وهو أمر يعود إلى إحساس النحوي وذوقه الخالص"[2].

ويذكر أن علل النحو على ضربيـن: أحدهما واجب لا بد منه لأن النفس لا تطيق معناه غيره، والآخر تحمّله إلا أنه على تجشم واستكراه، فابن جني خاض في التعليل متكئا على آراء الاعتزال المنطقية التي أرجعت مقاصد وأغراض العلة العدول عما هو مستثقل مستكره، والعمل بالأخف الأيسر، ويأتي القرن الرابع الهجري إلا أن يختم أعيانه برجل من أشهر النحاة، ألا وهو أبو الفتح عثمان بن جني الرُّومي الأصل الموصلي النشأة واضع (الخصائص) الذي أبقاه الدهر ليكون أقدم كتاب عالج مباحث كثيرة من أصول النحو والقياس والتعليل، ففي الجزء الأول من كتابه تحدث عن انقسام العلة إلى قسمين: نوع لا تطيق النفس غيره، ونوع مستكره للنفس وإن تحملته"[3].

وقد أبان ابن جني عن قدرة فائقة، ودقة غير متناهية في استقراء كلام العرب واستنباط العلل منه على سمت علماء الكلام :"انتهج ابن جني منهج الفقهاء في استنباط العلل، إذ وقع في استقرائه النحو العربي على إشارات متناثرة في كتب النحاة، جمع بعضها إلى بعض بما أوتي من دقة في النظر النحوي، وثقافة كلامية فقهية"[4].

ووقف ابن جني ندا وخصما لمخالفيه، ومناوئيه، والذين أعابوا عليه إتباع مسلك علماء الكلام، والمتفقهين في تقديم مادته اللغوية في مدونة الخصائص، ونقدهم نقدا لاذعا: " ويتجه بالنقد إلى من خالفوه المنهج الذي اعتمده في الاستنباط والقياس والتحليل والتعليل والاتجاه النحوي، والغرض اللغوي والمذهب الكلامي، وما من شأنه أن يتعامل مع كلام

---

[1]– ابن جني، الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 57.

[2]– الدكتور محمد عيد ، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، دار عالم الكتب، القاهرة – مصر، الطبعة السادسة، 1997، ص: 125.

[3]– ينظر الدكتورخالد بن سليمان بن مهنا الكندي، التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث ، ص: 149.

[4]– الدكتورحسين خميس سعيد الملخ،نظرية التعليل في النحوالعربي بين القدماء والمحدثين، دارالشروق، عمان –الأردن، ط01، 2000 ، ص :66/65.

العرب على أساس أنه قائم فيما جرت عليه ألسنة العرب، وما نسب إلى هذه اللغة وما حملت عليه، من قبل علماء الأصول النحويين والمتكلمين"[1].

وهكذا فإنّ المنهج الذي تقيد به أبو الفتح عثمان بن جني نشمّ فيه رائحة المنطق العقلي الذي ينهل أفكاره من علم الكلام، لا سيما مذهب الاعتزال المبثوث في المستويات اللغوية لمدونة الخصائص، إن الرجل علّل كل الظواهر اللغوية بعلل عقلية منطقية، يقول الدكتور خالد بن سليمان بن مهنا في كتابه التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث، :" إن النحاة حاولوا أن يعللوا كل حكم نحوي بعلل عقلية، فإن هذا منهج الفلاسفة الذين يسعون إلى الكشف عن علل كل شيء"[2].

وفي الأخير يمكننا إجمال التمظهرات المتعلقة بالمنهج عند ابن جني في:

- الانضباط الصارم الذي ميز ابن جني في الالتزام بمنهج المتكلمين، والمناطقة، وعلماء الفقه.

- التمس ابن جني جل مصطلحاته وأخرج أغلب أحكامه وفق ما تقتضيه النزعة الاعتزالية العقلية .

- طبع آراء ابن جني في مدونته الخصائص التّحرر، فكان كثير الانفلات من بعض الآراء التي لا تروق فكره وتحليله،فلم يكن أسيرالتقليد،فكان يؤكد أبحاثه بثقة ، ويقف من المسائل الخلافية موقفا واضحا.

- مال إلى الإسراف في توظيف منهج المعتزلة في اعتبار علل الكلام أقرب إلى العقل والإدراك من نظيراتها :" ولأجل أن ابن جني اعترف بأن علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين، فإنها فسرت ذلك لئلا يتعارض مع وجهة نظرها في العلل العقلية"[3].

[1]– بلملياني بن عمر، تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث ، ص: 38

[2]– خالد بن سليمان بن مهنا الكندي، التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث ، ص: 251.

[3]– المرجع نفسه، ص: 247.

المبحث الثاني: على مستوى اللغة

اللغة فضاء فسيح يبرز فيه المتكلم نوازع النفس، وأغراضها ومقاصدها، وهي حاصلة الفكر، مؤسسة لأنواع النشاط الثقافي، وهي بذلك وسيلة تُعرف بها المكنونات والكوامن، يقول الدكتور تمام حسان: " ليست اللغة إلا عنصرامن عناصر الثقافة، بل إنّها أساس كلِّ أنواع النشاط الثقافي ومن ثم فهي أقرب الأدلة، وأقواها عند استقصاء الملامح الخاصة لأي مجتمع معاصر"[1].

وللغة ميزات وخصائص كقدرتها على امتلاك المعاني بمرونة وسهولة غير متناهيتين، هذه العوامل أهلتها، وأقدرتـها على حمـل دلالات غاية في الدقة، والموضوعية: " إذ هي في مرونتها، ويسرها، وامتلاكها للظلال الدقيقة للمعاني، تصلح لاستعمالات مختلفة متشعبة"[2].

فاللغة هاهنا تلك المنظومة المنسجمة من الألفاظ التي تشكل فكر أي باحث، وهي الطاقة المعجمية التي تستوعب عمل أي دارس، وهي تتمظهر في وضع المصطلح، وتقعيد النظرية وتشكيل المنهج.

ولما كانت اللغة حاملة للفكر معبرة عنه، أمكننا ذلك من إدراك الخلفية الدينية، والثقافية والمذهبية لصاحبها، ولعل أبا الفتح عثمان بن جني خير من يتوسم فيه مظهر الاعتزال في الزخم الهائل من المعطيات اللغوية في هذا الشأن، ونحن نعمل اليوم على حصر وحشد ما جاء في مدونة الخصائص من مفردات وألفاظ تتطابق أحيانا وتتقاطع أخرى مع مصطلحات اعتزالية.

ومن الواضح أن تهافت العلماء على التيارات المذهبية والكلامية، التي نشطت عبر تفاعل الحضارة العربية الإسلامية بحضارة الأمم المجاورة، والتخصص الذي طبع الدراسات الفقهية واللغوية، فكان من الطبيعي أن تظهر اتجاهات بين هؤلاء العلماء لاعتناق هذه الأفكار، فوقف علماء الأصول، وعلماء اللغة مواقف شتى، فمن الضروري أن يؤلف كل باحث بلغة نابعة من معتقده ومذهبــه، موظفـا رموزا ودلالات، بل وقوالب لغوية تنسحب على المنهج الفكري الذي ينتمي إليه، ويتعهد قدر الإمكان بجعل اللغة ملائمة للخلفيات الفكرية التي تتطابق مع اعتقاد المتكلم،: "وثمة رأي في هذا المجال ينسب للنَّظَّام، يذهب إلى

[1]– تمام حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص: 15.

[2]– المرجع نفسه ، ص: 17.

أن صدق الخبر، هو مطابقة لاعتقاد المُخبر، مطابقا للواقع أو غير مطابق له، تعد هذه النقلة من العلامة المنطقية بين اللغة والعالم الخارجي إلى العلاقة النفسية بين اللغة واعتقاد المتكلم"[1].

ونشوء أبي الفتح عثمان بن جني في بيئة اعتزالية محضة، فرضتها عوامل أهمها ازدهار الجدل بين الفلاسفة المتكلمين، وعلماء أصول الفقه، أضف إلى ذلك صحبته لقطب من أقطاب اللغة والاعتـزال، حيث تتلمـذ على يدي الشيخ أبي علي الفارسي، فابن جني تسلح بسلاح العقل الاعتزالي، والمنطق الإغريقي، ليصب ذلك كله في منظومة لغوية منسجمة توحي بشكل مباشر تقريره لهذه المذاهب في جل مصنفاته، لا سيما مدونة الخصائص.

فقد فرض أبو علي الفارسي الأستاذ على ابن جني التلميذ مذهب الاعتزال فرضا صارما ، فهما لغويان معتزليان مذهبا وإجراء"[2].

وقد أرسى ابن جني مشروعا لغويا متكاملا، تتجلى من خلاله عبقرية الرجل في إضفاء لغة منطقية عقلية، تتجاذبها المرجعية الثقافية والفكرية، التي تمثل الانتماء الاعتزالي الخاص به، ثم العقلية المنطقية التي انساق وراءها النحو العربي متأثرا بتيارات المنطق الأرسطي، وإذا فأبو الفتح عثمان بن جني لغوي منفلت من قيود التقليد، ذو شخصية مستقلة في الكثير من الأحيان حتى عن المذهب البصري الذي يقاسمه الولاء، فإن الجانب اللغوي الاستعمالي في مؤلفاته، لا سيما كتاب الخصائص يظهر فيه كثيرا من الإسراف في التوظيف يصل إلى حد التعسف، حتى صارت هذه المدونة اللغوية الجليلة، موسوعة كلامية بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

ولم يكن أبو الفتح عثمان بن جني يسلّم باستخدام اللفظ استعمالا عارضا ثانويا، بل عمد إلى إقحامــه في توجيــه المظهر الوصفي لتحليل النظرية وإرسال حكم يساير وضع هذا اللفظ ومدلوله، والأكثر من ذلك مبالغة ابن جني في استصواب النتائج المترتبة عن النظريات والأحكام الناتجة عن الاستعمالات اللغوية العقلية، واستبعاد كل المواقف التي تتبنى الترجيح أو الشك.

---

[1]– بوهاس ، جيوم كلوغلي ، التراث اللغوي العربي، ص: 187.

[2]– الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال ، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني ، الجزء الأول، ص: 64.

وعلى العمـوم فقد اتضح في الذهن أن خضوع لغة ابن جنـي في الخصائص للمنطق والعقل، كان مؤداه السياق العام الذي ساد الدراسات اللغوية عامة والنحوية خاصة، إذا علمنا سبق تزاوج النحو العربي مع المنطق الذي فرضته الفلسفة اليونانية مع أرسطو " فلقد رأينا النحاة منذ ذلك الوقت يعتنقون مذهب الاعتزال، فيخالطون الفكر اليوناني الذي جاءت به جهود الترجمة، ولا نكاد نظفر بسيرة واحد من كبار أئمة النحو في عهد المأمون، وبعده حتى نهاية القرن الرابع تقريبا إلا وجدناه على مذهب الاعتزال، أو تأثر بالبيئة، فأولع بالنظر العقلي في النحو، بدء بالفراء في القرن الثالث، وانتهاء بأبي علي الفارسي وابن جني في نهاية الرابع"[1].

2-1-العلة :العلة في اللغة بوجه عام وفي النحو بوجه خاص ذات جذور تمتد إلى علم أصول الفقه، وعلم الكلام، لأنه لا يخفى ما للعمليتين من أثر على الدراسات اللغوية بشكل عام والدراسات النحوية على وجه الخصوص، :"جمعت العلة النحوية خصائص العلة الفقهية وخصائص العلة الكلامية، لأن النحاة تأثروا تأثرا بالغا بما كان يحيط بالبيئة الثقافية آنذاك ولأنهم استمدوا مناهجهم وأساليبهم من الفقهاء وعلماء الكلام"[2].

وقد صنف الباحثون علل العربية إلى علل منسجمة مع القانون اللغوي العام للعربية ، مطردة مع قواعد لغتهم،وعلل أخرى كاشفة عن سلامة الأغراض في مختلف الموضوعات التي تناولوها .

والذي يخص بحثنا هو الصنف الأول الذي قسمه المحققون أربعة وعشرين نوعا وهي: "علة السماع، علة تشبيه، علة استغناء ،علة استثقال، علة فرق، علة توكيد، علة تعويض، علة نظير، علة نقيض، علة حمل على المعنى، علة مشاكلة ،علة معادلة،علة قرب ومجاورة ،علة وجوب، علة جواز، علة تغليب، علة اختصار، علة تخفيف، علة دلالة حال ، علة أصل، علة تحليل، علة إشعار|، علة تضاد، علة أولى "[3]

2- 2-العدل: أصل ثابت من أصول المعتزلة المكذبين للقدر المنكرين لخلق الله للأفعال: "أما أكثر المعتزلة فقد قالوا: إن أفعال العباد محدثة ، خلقها فاعلوها ولم يخلقها الله ، وهي

---

[1]- تمام حسان ، الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، ص: 52.

[2]- الدكتور محمد خير الحلواني ، أصول النحو العربي ، ص: 111

[3]- السيوطي الإمام جلال الدين الاقتراح في أصول النحو، تح عبد الحكيم عطية ، دار البيروني ، الطبعة الثانية ، 2006 ،ً ص : 100/99/98 .

تنسب إلى العباد مجازا، وإنما هي أفعال الطبيعة تظهر فيهم ،إلا الإرادة فإنها فعل الإنسان"[1] ،ويقول الشهرستاني في الملل والنحل : " وافقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله، خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة "[2]

2-3-**القديم:** جاء في مقدمة كتاب الخصائص المحققة من قبل الدكتور عبد الحكيم بن محمد :" الحمد لله الواحد العدل القديم "[3] و يقول الشريف الجرجاني: " القديم يطلق على الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره، وهو القديم بالذات، ويطلق القديم على الموجود الذي ليس وجوده مسبوقا بالعدم، وهو القديم بالزمان"[4].

ويعقب الشهرستاني على قول المعتزلة بهذه الصفة : "والقدم أخص وصف لذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلا، فقالوا هو عالم لذاته قادر لذاته، حي لذاته، لا بعلم وقدرة وحياة"[5].

وقد حمل ابن جني على مذهب أهل السنة والجماعة حملة شعواء، ورماهم بالجهل والطغيان ، وغلبة الشقوة ، حين علق على تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ **يوم يُكشف عن ساقٍ**﴾ **الآية 42 سورة القلم** : "فأما قول من طغى به جهله ، وغلبت عليه شقوته ، حتى قال في قول الله تعالى " يوم يكشف عن ساق" إنه أراد به عضو القديم ، وإنها جوهر كهذه الجواهر الشاغلة للأماكن ، وإنها ذات شعر ، وكذا وكذا مما تتابعوا في شناعته ، وركسوا في غوايته فأمر نحمد الله على أن ترّهنا عن الإلمام بحراه "[6].

ويظهر في النص السالف الذكر توالي استعمال لفظ "القديم" حتى عند دحض آراء الخصوم والمناوئين .

وقد ورد ذكرللفظ القديم في مواضع أخرى من مدونة الخصائص في تأكيد عدم خلق الله لأفعال العباد بما لايدع مجالا للشك .

---

[1]- أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، الجزء الرابع ، ص: 25.

[2]- الشهرستاني ،الملل والنحل ص: 125.

[3]- عبد الحكيم بن محمد ، مقدمة تحقيق كتاب الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 15

[4]- الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص: 252.

[5]- الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص: 125/124.

[6]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الثالث ، ص : 179 .

2-4إقرارهم لصفة التوحيد:

وهو أصل ثابت من أصول المعتزلة الخمسة، قال ابن جني في الخصائص :" فأما قوله سبحانه : ﴿ **وفَـوْق كـلِّ ذِي علمٍ عليـم**﴾ **سورة يوسف الآية 76** فحقيقة لامجازًا، وذلك أنه سبحانــه ليس عالم بعلم، فهو إذا العليـم الذي فوق ذوي العلوم أجمعين، ولذلك لم يقل: وفوق كل عالم عليم لأنه عز اسمه عالم ولا عالم فوقه"[1].

وهذا الرأي للمعتزلـة يسمونه التوحيد مفاده نفي الصفات، فالخالق علمه، وقدرته، وحياته متعلقة بذاته"[2].

2-5**اعتمادهم لأصل المنزلة بين المنزلتين:** وهذا أصل راسخ الجذور في عقيدة الاعتزال، هما أصلان جمعا لوثوق العلاقة بينهما الفسق منزلة بين المنزلتيـن لا كفـر ولا إيمان، فالفاسق ليس مؤمنا ولا كافرا، بل هو في منزلة بين المنزلتين "3 ، وقد أسقط ابن جني هذا الأصل على المسألة اللغوية المتعلقة بالحكم يقف بين الحكمين في الكسرة التي تسبق ياء المتكلم.

2-**6 الجوهر والعرض:** مصطلحان وردا في تسمية الأعلام فالأعلام الدالة على عين جوهر نحو أسماء يسمى بها الإنسان، والأعلام الدالة على معنى أعراض، وقد تداول المعتزلة هذين اللفظين في كثير من معتقداتهم خاصة ما تعلق منها بأصل التوحيد، ومما ساقه الأستاذ أحمد أمين في هذا المنوال قولهم :" إن الله واحد ليس كمثله شيء، وليس بجسم، ولا شبح ولا جثة، ولا صورة، ولا لحم، ولا دم، ولا شخص، ولا جوهر، ولا عرض...، فترى في هذا أنهم حللوا التنزيه تحليلا فلسفيا بما أبانوا من صفات السلوب، وأوضحوا معنى التوحيد في جلاء كما يدل عليه العقل"[4].

2-**7القبيح والحسن:** من الألفاظ التي استعملها المعتزلة تتدرج تحت الأصل الثاني من أصولهم وهو العدل، يقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام): "رأوا أن الحسن والقبح في الأعمال ذاتيان، فالكذب فيه قبح ذاتي، والصدق فيه حسن ذاتي"[5]، ويقول الإمام أبو حامد الغزالي ت(505هـ) في كتابه المستصفى من علم الأصول مفصلا المجمل الذي

---

[1]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الثالث، ص: 314.

[2]- فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي ، ص: 55.

[3]- ينظر أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، الجزء الثالث ، ص:52.

[4]- نفسه ، ص : 23/22.

[5]- نفسه ، ص: 40.

جاء في حديث أحمد أمين: " ذهبت المعتزلة إلا أن الأفعال تنقسم إلى حسنة وقبيحة، فمنها ما يدرك بضرورة العقل، كحسن إنقاذ الغرقى، والهلكى، وشكر المنعم ومعرفته، وحسن الصدق، وقبح الكفران، وإيلام البريء، والكذب الذي لا غرض فيه، ومنها ما يدرك بنظر العقل كقبح الصدق الذي فيه ضرر وحسن الكذب الذي فيه نفع"[1].

والذي يهمنا من خلال هذا الاستشهاد كله أن ابن جني استدعى هذين اللفظين في مواطن شتى في مدونته الخصائص، غير أنه يمكن أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر :"أفلا ترى أن القبح الذي كان في مخالفة الظاهر الثاني للأول، قد عاد فصار بالتأويل من حيث أرينا حسنا"[2].

مصطلح الحسن والقبيح مصطلح يتجاذبه اتجاهان، اتجاه فقهي، واتجاه كلامي استمد منه علماء اللغة المعروفون باعتزالهم، وعلى رأسهم الفارسي، وتلميذه ابن جني تخريجاتهم اللغوية العقلية.

اعتمد المعتزلة هذا المصطلح في الكثير من نقاشاتهم الكلامية، فقالوا بأن الحسن والقبح في الأشياء " تنقسم إلى ثلاثة أقسام، حسنة بذاتها، قبيحة بذاتها، أشياء يرد إليها القبح والحسن"[3].

والذي نريده هو إبراز الملمح العقلي في هذا المصطلح، لأن العقل قادر على إدراك القبح الذاتي، والحسن الذاتي، لكن الصنف الثالث مُدرك عقلا وشرعا، :"والقسمان الأولان الحسن لذاته، والقبح لذاته، يدرك العقل فيهما الحسن، والقبح، وأما القسم الثالث، فهو الذي يرد عليه الحسن والقبح، فلا يدرك العقل وحده حسنها، أو قبحها، وإنما تكون حسنة، إذا أمر الشارع بها، وتكون قبيحة إذا نهى عنها"[4].

2-**8-الساكن والمتحرك:** من المسائل التي أثارت الجدل داخل فرقة المعتزلة نفسها :" فقد اعتبروا أفعال العباد كلها حركات، أما السكون فهو حركة اعتماد، والعلوم والإرادات حركات النفس، فالحركة عندهم أثبتتها الفلسفة في الكيف والكم والوضع والأنين"[5].

---

[1]- الغزالي أبوحامد،المستصفى من علم الأصول ، تح الدكتورحمزة بن زهيرحافظ ،المدينة المنورة ، دط ،ص : 83.

[2]- ابن جني، الخصائص، الجزء الثالث، ص: 38.

[3]- الدكتور خالد رمضان حسن، معجم أصول الفقه ، ص: 107.

[4]- المرجع نفسه ، ص: 108.

[5]- ينظر الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص: 134.

وقد عثرنا على هذين اللفظين في مدونة الخصائص في استطرادات لغوية كثيرة متناثرة في مختلف طيات المصنف، منها ما جاء في الجزء الثالث في قول ابن جني :" وهذا جار مجرى الضدين المترادفين على المحل الواحد، كالأسود يطرأ عليه البياض، والساكن تطرأ عليه الحركة ،فالحكم للثاني منهما"[1].

2-9-الوجود والمحدث: تعددت أوصاف المعتزلة للذات الإلهية، وقيل فيها الكلام الكثير ومن هذه الأوصاف الوجود والمحدث: " لم يزل أولا سابقا متقدما للمحدثات موجودا قبل المخلوقات، ولم يزل عالما قادرا حياً"[2].

وقد حفلت مدونتنا بالكثير من الاستعمالات لهذين المفهومين، وصفاً وتحليلا للظواهر اللغوية المختلفة، من ذلك، تكرير لفظة – حادث- في الجزء الثالث في قوله : " وهو استقلاله به وانتسابه إليه، وحدوثه عنه، أو كونه بمنزلة الحادث عنه ، على ماهو مبين في باب الفاعل "[3].

2-10-العدم :ساق المعتزلة فكرة العدم من خلال مناقشة المعتزلة لأصل التوحيد إذ اعتبروا العالم مخلوقا من العدم بالأمر الإلهي (كُن) :" وقد ذهب نفر منهم وعلى رأسهم أبو هذيل العلاَّف، إلى أن هذا العالم خُلق من لاشـيء، بواسطة الأمر الإلهي أمر التكوين (كن فيكون)، وذهب إلى أن هذا الأمر حادث لا محل فيه، وأن هذا العالم خلق من العدم، من لا شيء"[4].

تكررت كلمة العدم في صفة المصدر، أو أحد مشتقاتها في مواضع مختلفة من المصنف، نذكر فيها" لأنا لا نكاد نرى بدويا فصيحا، وإن نحن آنستنا منه فصاحة في كلامه، لم نكد نعدم ما يفسد ذلك، ويقدح فيه، وينال ويغض منه"[5].

---

[1]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الثالث ، ص: 44.

[2]- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، الجزء الثالث ، ص: 22.

[3]- المصدر السابق، ص: 70 .

[4]- الدكتور فيصل بدير عون ، علم الكلام ومدارسه ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر، د ط، ص:201.

[5]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الثاني، ص: 03.

المبحث الثالث: على مستوى الأحكـــام

استمر ابن جني في مناقشة مباحثه اللغوية مقتفيا آثار المعتزلة، والعقلانيين من علماء الكلام، وأقطاب مدرسة البصرة، فكان دأبه كذلك على مستوى إسقاط الأحكام، باعتبارها آخر مرحلة بعد وضع المصطلح، وتقعيد النظرية.

يرى العلامة ابن منظور في اللسان أن الحكم هو: "العلم والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر حكم يحكم"[1].

أما في الاصطلاح: " هو إلحاق المقيس بالمقيس عليه يتضمن إعطاءه حكمه"[2]

ويصنفه اللغويون والنحاة ستة أنواع : واجب، ممنوع، حسن، قبيح، خلاف الواجب، جائز على السواء، واجب كرفع الفاعل، ممنوع كرفع المفعـول، الحسن كرفع المضارع بعد شرط ماضي، قبيح كرفع المضارع بعد شرط مضارع، خلاف الأولى كتقديم الفاعل، جائز على السواء كحذف المبتدأ أو الخبر[3] .

ومن هذه التعريفات نلاحظ أن الحكم هو العلاقة بين ركني القياس: المقيس والمقيس عليه تستوجب التناسب بينهما، وتقتضي إيجاد صلة بين هذين الركنين.

ويخلص ابن جني مُقسّمًا العلة إلى ضربين: علة موجبة تؤدي إلى إيجاب حكم ثبت سماعا عن العرب كرفع الفاعل ونصب المفعول، وعلة مجوزة تؤدي إلى التخيير بين حكمين أو أكثر نحو مررت بزيد رجل صالح، على البدل أو مررت بزيد رجلا صالح على الحال"[4]

والعلل عند ابن جني بحسب الحكم لها صورتان: حكم تتجاذبه علتان أو أكثر كالاختلاف في علة رفع المبتدأ والخبر، الحكمان المختلفان في شيء واحد إعمال ما الحجازية، وترك التميميين وإجراؤها مجرى هل[5].

---

[1]–ابن منظور ، لسان العرب ، الجزء الثالث ، ص: 314.

[2]– الدكتورسعيد جاسم الزبيدي ، القياس في النحوالعربي نشأته وتطوره ، دار الشروق رام الله –فلسطين ، ط 1، 1997 . ص : 34 .

[3]– ينظرالمرجع نفسه ، ص: 34.

[4]– ينظر فاضل صالح السامرائي ن ابن جني النحوي ، ص :161 .

[5]– ينظر نفسه ، ص: 162.

1- القيم الإجرائية للأحكام عند ابن جني:

إصدار الحكم أيًا كان نوعه ثمرة خاتمة لأركان القياس، ولم يكن أبو الفتح عثمان بن جني ليثبت أحكاما اعتباطيا، فالأحكام عند الأصوليين كما عند المتكلمين تأخذ دلالات واحدة، مع ما في القضايا الإجرائيــة من اختلافـات، وذلك راجـع إلى الوظيفـة المنوطـة بكل من الأصولي، والمتكلم، وعالم اللغة.

يقول الدكتور تمام حسان :" قد يحكم النحوي بالوجوب، أو الامتناع، أو الحسن أو القبيح، أوالضعف أوالجواز، أو مخالفة الأولى أو الرخصة، وحين يقول النحوي (يجب كذا) فالمقصود أن هذا الواجب أصل من الأصول التي لا يجوز للمتكلم أن يخالفها دون أن يتخطى سياج النحو، فليس لأحد –حتى ولو كان موصوفا بالفصاحة– أن ينصب فاعلا أو يقدمه على فعله، لأن رفع الفاعل وتأخره حكم واجب"[1]

2-الحكم بين العلة والنص:

والجدل القائم قديما وحديثا بين العلماء هو اختلافهم في إثبات الحكم هل يكون بالعلة أم بالنص؟ يقول ابن الأنبا ري: "اعلم أن العلماء اختلفوا في ذلك، فذهب الأكثرون إلى أنه يثبت بالعلة لا بالنص، لأنه لو كان ثابتا بالنص، لا بالعلة لأدى ذلك إلى إبطال الإلحاق وسد باب القياس"[2].

والرأي الثاني يذهب إلى أن الحكم يثبت بالنص :"وذلك نحو النصوص المقبولة عن العرب المقيس عليها بالعلة الجامعة في جميع أبواب العربية"[3].

3-أقسام الحكم باعتبار العلة:

عرفنا فيما سبق أن العلة كركن من أركان القياس، إنما وضعت لدفع الاستثقال واستمساكا للخفة التي يألفها الذوق السليم والسجية، وإن العربي التمس هذه العلل على السليقة التي طبعت لسانه ردحا من الزمن دون أنْ يتحرى دراستها واستنباطها ،يقول الدكتور

---

[1]- تمام حسان ، الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، ص: 179/178.

[2]- ابن الأنبا ري أبوالبركات ، الإغراب في جدل الإعراب ، تح سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السورية ، 1957، ص: 121.

[3]- المصدر نفسه ، ص: 122/121.

تمام حسان في معرض حديثه عن التعليل العربي: "فالذي قام في نفوس العرب سليقة وملكة، والذي جاء به النحاة تجريد وصنعة، ومحاولة وصف لهذه السليقة والملكة"[1].

وإذا كان الحكم الركن الرابع من أركان القياس تتويجا وثمرة للقاعدة يقف على نتيجتها، وبذلك تنص العلة عليه، وتحدد نوعه، ومن هنا كانت الصلة وثيقة بين العلة والحكم، يقول جلال الدين السيوطي: "من شرط العلة أن تكون هي الموجبة للحكم في المقيس عليه، ومن ذلك خطّأ ابن مالك البصريين في قولهم إن علة إعراب المضارع مشابهة للاسم في حركاته وسكناته، وإبهامه"[2].

والإمام أبو الفتح عثمان بن جني يوظف جل التقسيمات التي استمدها اللغويون والنحاة من أصول الفقه، وعلم الكلام وهي كما ذكرنا الوجوب، الامتناع، الحسن، القبح، الجواز، الرخصة.

3-1- الحكم الواجب: هو ما لا يجوز للمتكلم مخالفته البتة، لأن ذلك تجاوز لحرمة القاعدة التي برهن القياس المطرد على صحتها، قال الله تعالى﴿ **وَيومَ نَبعثُ منْ كلِّ أمَّةٍ *شهيدًا*** ﴾ **النحل الآية 89.**

فالقاعدة اقتضت وجوب نصب المفعول به (شهيداً) لإطراد النصب في المفعول به قياسا على لغة العرب، ويدخل في هذا قواعد مطردة أخرى كرفع الفاعل والمبتدأ ونصب الفضلى كالحال.

وضمن مدونة الخصائص لهذا الضرب أثر طيب، جاء في الجزء الأول منها: "وإذا ثبت وجوب خلاف صيغة الماضي صيغة المضارع، وجب أن يكون ما جاء من نحو سلا- يَسلَى، وقلى يقلى ونحو ذلك"[3].

3-2- الامتناع: وهو ما اقتضت العلة منعه، نحو نصب الفاعل، ورفع المفعول، وتعريف الحال، قال ابن جني في الخصائص :"ومن ذلك امتناعهم من استعمال استحوذ معتلا، وإن كان القياس داعيا إلى ذلك ومؤذنا به"[4].

---

[1]- تمام حسان ، الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ص: 162.

[2]-السيوطي ، الاقتراح ، ص: 105.

[3]- ابن جني الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 320.

[4]- المصدرنفسه ، ص: 335.

3-3- الحكم الحسن: يقول العلامة ابن مالك في هذا الحكم:

وبعد ماض رفعك الجَزَا حسن ورفعه بعد المضارع وهن[1].

والواضح في قول العلامة ابن مالك أن من الحكم الحسن رفع المضارع الواقع جوابا للشرط بعد فعل الشرط الماضي.

قال صاحب الخصائص :"وينبغي أن يعلم أن هذه التاء في(راضية)و(آشرة) ليست التاء التي يخرج بها اسم الفاعل على التأنيث لتأنيث الفعل من لفظه، لأنها لو كانت تلك لفسد القول، ألا ترى أنه لا يقال ضربت الناقة، ولا رضيت العيشة...، وحسن ذلك أيضا شيء آخر وهو جريانها صفة على مؤنث، وهي بلفظ الجاري عن الفعل"[2].

3-4الحكم القبيح: وهو التزام ما خالف روح القاعدة، "كجعل الواو زائدة في ذوات الأربع نحو ورنتل"[3].

3-5- الحكم الجائز: تمثل ابن مالك بالجائز في قوله :

"وجائز رفعك معطوفا على منصوب إنّ بعد أن تستكملا[4].

قال ابن جني في هذا الضرب من الأحكام: " وأجاز أبو الحسن زيادة الواو في خبر كان، نحو قولهم كان ولا مال له، أي كان لا مال له"[5].

3-6- خلاف الأولى: ولا يرقى هذا الحكم إلى منزلة الحكم الواجب، ولا ينزل إلى مرتبة الحكم القبيح،: "و أما خلاف الأولى، فمثاله أن تأتي بخبر عسى خاليا من أن، فهذا الخبر على صحته أولى به أن يكون مع أن"[6].

يكثر هذا النوع من الحكم في التقديم والتأخير للتراكيب اللغوية نحو (ضرب غلامه زيدا)[7].

---

[1]- ابن مالك محمد بن عبد الله ، ألفية ابن مالك ، دار الإمام مالك ، باب الوادي – الجزائر ط2 ، 2007، ص: 136.

[2]- ابن جني الخصائص، الجزء الأول، ص: 154.

[3]- ينظر المصدر نفسه، الجزء الاول، ص:188.

[4]-ابن مالك، متن الألفية، ص41.

[5]-المصدر السابق الجزء الثاني، ص: 317.

[6]- تمام حسان، الأصول دراسة استيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ص: 179.

[7]- الدكتور سعيد جاسم الزبيدي، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، ص: 34.

ومما احتج به ابن جني في هذا الحكم قوله في الخصائص: "ومما يصح ويجوز تقديمه خبر المبتدأ، نحو قائم أخوك، وفي الدار صاحبك، وكذلك خبر كان وأخواتها على أسمائها وعليها أنفسها، وكذلك خبر ليس، نحو زيدا ليس أخوك، ومنطلقين ليس أخواك"[1].

3-7-الرخصة: وهذا الحكم يجوّز للشاعر ما لا يجوّز للناثر من الضرورات الشعرية، فاللغة تجيز للشاعر، محظورات لا تسمح للناثر تخطيها ومخالفتها ، والضرورة المتاحة للشاعر ليست لحنا بل رخصة ممنوحة ، وفضاء رحيبا ، فقد أجازت اللغة للشاعر مالم تجز لغيره لأجل التخلص والانفلات من أغلال الوزن والقافية "[2] .

عقد ابن جني لهذا الحكم بابا في مدونته الخصائص قسم من خلاله الضّرورات الشّعرية إلى أحسن الضّرورات وأقبح الضرورات.

قال ابن جني: "وإذا كان لذلك فما كان من أحسن ضروراتهم فليكن من أحسن ضروراتنا، وما كان من أقبحها عندهم فليكن من أقبحها عندنا، وما بين ذلك، بين ذلك"[3].

4- نماذج لبعض الأحكام في مدونة الخصائص

4-1- الحكم الأول: يتضمن مصطلح الاستحسان الأحكام التالية:

1- قلب الياء واواً في الألفاظ على وزن فعلى نحو التقوى.

2- استحسان توكيد اسم الفاعل تشبيها له بالمضارع المؤكد نحو أقائلن.

3- تحُّول الواو ياءً في حالة وقوع ساكن بين الكسرة والواو نحو صِبية".[4]

4-2 الحكم الثاني: العلل الموجبة ما أدت إلى إيجاب حكم نحوي سماعا وهي تثبيت حكمٍ نحوي واحد نحو رفع الفاعل وجر المضاف إليه"[5].

العلل التي تؤدي إلى إيجاب حكم نحوي ثبت بالسماع المطرد عن العرب كعلل رفع الفاعل أو نصب المفعول أو جر المضاف إليه"[6].

---

[1]- ابن جني الخصائص، الجزء الثاني، ص: 262.

[2]- ينظر تمام حسان ، الأصول دراسة استيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، ص : 179.

[3]- ابن جني الخصائص، الجزء الأول ، ص: 276.

[4]- نفسه ، ص : 130 .

[5]- الدكتور حسين خميس سعيد الملخ ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص: 66.

[6]- ينظر نفسه ، ص :27 .

جواز التخيير بين حكمين نحويين ومنها جواز اعتبار النكرة التي تقع بعد المعرفة بدلا أو حالا: "فهي العلل التي تؤدي إلى التخيير بين حكمين نحويين أو أكثر وتجيز الوجهين أو الثلاثة، فهي مجوزة لوجه، غير نافية لغيره"[1].

4-3 الحكم الثالث:قرر في باب تخصيص العلل بعض الأحكام التي خالفت القياس وإنما وضعت جريا على التخفيف، واجتنابا للثقل كتصحيح فاء ميزان وميعاد، موزان، وموعاد.

4- 4- الحكم الرابع:أصل الهمزتين المتجاورتين في أؤاسيه وأؤاخيه، الحكم في علة قلب الثانية واوًا اجتماع الهمزتين وانضمام ما قبلها (ذكر تحت باب إدراج العلل)"[2].

4-5 - الحكم الخامس: تحت باب مصطلح الدور الحكم وجوب إسكان اللام نحو ضربْن- الوقوف على أول رتبة نحو قويت قواءة تذكيرا وقواوة تأنيثا"[3].

4- **6- الحكم السادس:**الأحكام المتعلقة بباب ترافع الأحكام :

- معاقبة حركة العين تاء التأنيث وذلك في الأدواء نحو: رمِث رمَثاً ، وعند إلحاق التاء تسكّن العين نحو حَقِل حَقْلة.

- ترافع أحكام حركة العين والتاء عند الاجتماع في فَعَلة فصار الأمر إلى فَعْل تكسير أفْعُل[4].

4-7- الحكم السابع: تغير صفة بعض الأفعال يحيلها إلى التعدية كإضافة الهمزة نحو قام، أقَام.

1- نقض الغرض عند إدغام جَلْبب وشمْلل ونحوهما.

2- الفعل لا يعَّرف، مَنْ لا تلحق أفعَل المعرف باللام نحو الأحسن منه.

3- عدم إلحاق تاء التأنيث نحو مسلمة لا نقول مسلمتاة.

4- الفعل لا يلحقه التنوين للثقل فلا نقول نجح.

4-**8الحكم الثامن:** يندرج هذا الحكم تحت باب الحكم يقف بين الحكمين فالكسرة الواقعة قبل ياء المتكلم لا هي حركة إعراب ولا علامة بناء.

---

[1]- الدكتور حسين سعيد خميس الملخ ،نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين،ص :66 .

[2]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص : 165 .

[3]- نفسه، ص : 185 .

[4]- ينظر نفسه ، ص: 71.

- ليست إعراب لأنه الاسم إما مرفوع وإما منصوب وهي فيه نحو وجدت كتابي.
- ليست بناء لأن الكلمة معربة لا شبهة فيها للبناء.

إن الأحكام السابقة متضمِّنة بعض أصناف الحكم التي استمدها ابن جني متأثرا من خلالها بمنهج الفقهاء: "وليس هناك شك في تأثر النحاة المتأخرين بتقسيمات الفقهاء للحكم الفقهي، ومحاولة إجرائه على أصول النحو"[1].

وإجمالا إن الحكم باعتباره ركنا حاسما من أركان القياس، يُبدي نتيجة ركني القياس والمقيس عليه، وفق ما تمليه العلة الجامعة في جميع الأحوال فهو: "مُظهر نتيجة المقيس على المقيس عليه بالعلة الجامعة وجوبا، وجوازا وامتناعا، وقبحا"[2].

والذي نختم به هذا المبحث هو أن الحكم اللغوي يجاري منهجا ومصطلحا وإجراء الحكم الفقهي، والحكم الكلامي عند العلامة ابن جني، مما يحدّد رؤية ابن جني ومرجعيته الفكرية والثقافية.

[1]– الدكتور سعيد جاسم الزبيدي ، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره ، ص: 64.

[2]– فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي ، ص:150.

الفصل الثالث

تطبيقات من تجليات العقل في المستويات اللغوية للخصائص

فقـــه اللغة

المستـوى الصّوتي

النظام الصّرفـي

المستوى التّركيبي

أصــول النّحو

المبحث الأول: مسائل تخص فقه اللغة

غلب على البحث اللغوي عند ابن جني ثلاثة تجليات، لغوية، كلامية، فقهية، غير أن التمظهرات العقلية برزت على مستوى المصطلح، والنظرية (التقعيد) والمنهج في الأخيرين، أما في المظهر اللغوي فقد تجلت على مستوى التخريجة العقلية على أكثر تقدير وخصت بعض المسائل ليس إلا، أما بقية التخريجات فكانت على هدي أسلافه شيوخ المدرسة البصرية خاصة الخليل وسيبويه.

والتخريجة استنباط واستدلال يقوم به الباحث وفق ما يراه صائبا انعكاسا لعوامل تكوينية وثقافية في شخصية هذا الباحث، اللغوي التراثي.

إن الخلفية الاعتزالية لأبي الفتح عثمان بن جني ساهمت في انبعاث التفكير العقلي، وتوجيهه للتخريجات اللغوية عنده، مما أعطى انطباعا لدى الدارسين بأنه كان رائدا في تأسيس علم الأصول على تخريجات واستدلالات منطقية وعقلية.

1-1- تخريجات ابن جني حول مفهوم اللغة:

يتفق معظم الباحثين والمختصين في علم اللغة أن ابن جني يعد رائد هؤلاء في وضع تعريف شامل مانع للّغة، يتطابق إلى حد بعيد مع الدراسات اللسانية الغربية الحديثة، قال في الخصائص: " إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1].

فقد تناول ابن جني هذا التعريف للغة من أربع زوايا، اللغة صوت، اللغة أداة تعبير اللغة مظهر اجتماعي، اللغة تعبير عن المعاني والأغراض وفي هذا الإطار يقول بلمليانى بن عمر: " اللغة أصوات المادة الصوتية، الصوت اللغوي، يعبِّر بها أداة تعبير لغوي،يعبر بها كل قوم، ظاهرة اجتماعية، التعبير، التبليغ، والتواصل، تعبير عن الأغراض، تمام البيان والدلالة على المعاني والأغراض[2].

فالجانب العقلي في هذه التخريجة أن ابن جني وجد صلة بين الجانب المورفولوجي للغة ،لأنها أصوات وجانبها الدلالي التعبير عن الغرض والمقصد، وأنها اللغة المنطوقة التي تستدعي سامعا واعيا لفهم الغرض، وهذا التعريف يستوقف الباحث أن يخاطب العقل من حيث الجانب الصوتي والتعبيري والمظهر الاجتماعي للغة.

---

[1]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص:139.

[2]- بلمليانى بن عمر، تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث ، ص: 17.

إن ابن جني ذو جرأة في إسقاط الآليات المنطقية العقلية التي امتلكها بكل دقة على هذا التعريف عبر سرد للمظاهر الثلاثة التي يحيل إليها المعنى اصطلاحا

1-2- نشوء اللغة :

ذهبت آراء علماء اللغة حول نشأة اللغة مذاهب شتى، فكل دلا بدلوه في هذا الشأن، وكان الباعث وراء اختلاف هذه الآراء تباين الخلفيات الثقافية والفكرية لكل باحث، وابن جني لم يكن له القول الفصل في تحديد نظرية بذاتها في هذا الأمر، إنما كانت تتجاذبه نظريتان التوقيف والاصطلاح مترددا بين الأولى والثانية.

قال ابن جني بنظرية التوقيف متأثرا برأي أستاذه أبي علي الفارسي: " وقد استدل على رأي التوقيف نقلا عن أستاذه أبي علي الفارسي بما استدل به معاصره ابن فارس"[1].

أما نظرية المواضعــة والاصطلاح فقد نقلها ابن جني عن علماء اللغـة سابقيه ومعاصريه، وكان يعتدّ ويستأنس بها.

ورغم تركيز ابن جني على هاتين الفرضيتين فإنه آمن بفكرة المحاكاة محاكاة الطبيعة، وأن نشـأة اللغـة مرتبـط بما تشمله الطبيعة من أصوات دوي الريح، وخرير المياه، وحفيف الأشجار:" وذهـب بعضهـم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير المياه، وشحيح الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل"[2].

1-3-الاستدلال العقلي لابن جني في نظريتي التوقيف والمواضعة :

قدم ابن جني التقسيم الثلاثي للكلام (اسم، فعل، حرف) من حيث القوة والضعف: "إن وصف أقسام الكلام الثلاثة (الاسم، الفعل، الحرف) بالقوة والضعف، فكرة عقلية طرحها ابن جني، ونحن نعلم أن ابن جني أحد رجال المعتزلة، وهم أهل العقل والنظر، ولم يكن من أهل

[1]- الدكتور عبد الرحمن خربوش ، مصادر فقه اللغة العربية قراءة في المادة والمنهج ، مؤسسة قاعدة الخدمات الجديدة تلمسان – الجزائر، ص: 86.

[2]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص:56/55.

النقل، وأنه على حد رأيه لا بد لكل كلام مفيد من الاسم، فقد تستغني الجملة عن الفعل والحرف ولكنها لا تستغني عن الاسم"[1].

ويبدو أن هذا اللغوي المعتزلي أطلّ على الأسماء من نافذة خارج دائرة اللغة نفسها ألا وهي معيار الأضعف والأقوى"[2].

وأما الاستدلال العقلي الذي وضعه ابن جني في نظرية المواضعة والاصطلاح فيجسده النص الصريح الذي جاء به في مدونة الخصائص حيث يقول: " وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحدٍ منها سمة ولفظا إذا ذكر عرف به مسماه، ليمتاز عن غيره، وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين"[3].

على الرغم من النقد الشديد الذي تعرض له هذا القول بحيث :" كيف لحكيمين أن يجتمعا لمواضعة اللغة قصد الإبانة عن الأشياء، إذا لم تكن لديهم أداة للتفاهم"[4].

ومما ساقه الأستاذ الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال في كتابه عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني قوله: "فاللغة بما فيها من قوة بيان وروعة سحر وحسن نظام تدل على أنها من صنع الإله لا من صنع الإنسان"[5].

"إن أول اللغات لا بد أن يكون متواضعا عليه بالمشاهدة والإيماء"[6].

ومن الأدلة العقلية التي جاء بها ابن جني إثباتا لنظرية المواضعة والاصطلاح ما ورد في الخصائص: "والقديم سبحانه لا يجوز أن يوصف بأنه يواضع أحداً من عباده عن شيء، قد ثبت أن المواضعة لا بد معها من إيماء، وإشارة بالجارحة نحو المومأ إليه، والمشار نحوه، والقديم سبحانه لا جارحة له، فيصح الإيماء والإشارة بها منه، فبطل عندهم أن تصح المواضعة على اللغة منه تقدست أسماؤه"[7].

---

[1]– الدكتور عبد القادر عبد الجليل، اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة، دار صفاء للنشر، عمان الأردن ، ط1ن1997، ص: 49.

[2]–الدكتور عبد القادر عبد الجليل ،اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة، ص: 50.

[3]– ابن جني، الخصائص ، الجزء الأول ، ص:54.

[4]– المرجع السابق ، ص:57.

[5]– الأستاذ الدكتورعبد الغفار حامد محمد هلال، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان ابن جني، الجزء الأول، ص: 287.

[6]– نفسه، ص: 293

[7]– ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص:54.

1-4-التجليات العقلية في مسألة الاشتقاق الأكبر:

لم يقتنع الأقدمون، وعلى رأسهم ابن جني بفصل علم النحو عن علم الصرف، فالثاني يؤسس للأول، ويقدم له، ويوجهه، وبدون الصرف، يكون النحو عاريا في جميع أبوابه، فالاتصال بينهما يزداد ويتضح وفق دواع منطقية غير مؤسسة على العشوائية والمصادفة، وبصرف النظر عن حلقات التلاقي بين هذين العلمين، لأن ذلك أخذ حقه من الشرح والتحليل في مناسبات سابقة.

وابن جني أبدى تحفظا في محاولة إيجاد فواصل ولو نسبية ناتجة عن توسع الدرس النحوي والصرفي، يقول عبد القاهر الجرجاني في كتاب (العمد) :" ابن جني من موقع البصير باتجاهات العلماء، لا سيما وقد شاركهم التأليف في العلمين، وأسهم في محاوراتهم وأفكارهم، وعايش مصنفاتهم، ومؤلفاتهم، واتضحت أمامه أبعاد كل واحد من العلمين أخذ يرسم حدود كل علم، ويحدد أبعاده، ويوضح دوره ومراميه"[1].

والذي نريد الإشارة إليه هنا هو إيراد المسوغات التي ساقها العلماء في وضع حدود، ومفترقات بين الصرف من جهة والاشتقاق من جهة ثانية.

ونظرية الاشتقاق الأكبر تدور حول الأصول الثلاثية، ثم تعقد عليها تقاليب ستة ذات معنى واحد، أما الصرف فهو علم يضع اللغة في مقابل الصيغ والأبنية المتاحة، مع الأخذ بالإعلال والإبدال والقلب وغيرها.

إذا فهذا النوع من الاشتقاق أساسه المادة أي الحروف، وإهمال صورته أي اللفظ يقول العلامة السيوطي:"وأما الأكبر فيحفظ فيه المادة دون الهيئة، فيجعل (ق و ل) و(و ل ق) و(و ق ل) و(ل ق و) وتقاليبها الستة بمعنى الخفة والسرعة، وهذا ما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني"[2].

والذي يزيل اللبس في الاشتقاق الأصغر عند سلخ فرع من أصل يكون الفرع في اشتراك دلالي مع الأصل المنتزع منه، يختلف باختلاف الصيغة الجديدة للاشتقاق، لكن الاشتقاق الأكبر تشكل التقاليب الستة وحدة دلالية لجميع الأصول.

---

[1]- الجرجاني عبد القاهر،العُمد كتاب في التصريف، تح الدكتور البدراوي زهران ، دار المعارف – مصر،ط 3،1995 ، ص: 33.

[2]- السيوطي جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ص: 275.

بين التصريف والاشتقاق واللغة، التصريف أقرب إلى النحو من اللغة، والاشتقاق أقرب إلى اللغة من النحو:"لأن الاشتقاق مستعمل ومنطوق ومتردد على الألسنة، ومجموع من أفواه العرب، فهو أوثق باللغة، وأقعد فيها من التصريف"[1].

والمتوقف عند كلام الشيخ عبد القاهر الجرجاني يستنتج أنه يخص الاشتقاق عامة، لكن هذا لا يعني أنه يشير ضمنيا إلى الأكبر كذلك.

والسؤال الذي يطرح نفسه، أين هي مكامن المعقول من التفكير في هذه المسألة؟ وما هي الحكمة الخفية التي أنشأ على ضوئها ابن جني التقاليب الثلاثية الستة

من المسلمات الثابتة عند علماء اللغة ودارسيها أن فكرة وضع وابتكار هذا النوع من الاشتقاق تعود إلى العلامة أبي الفتح عثمان بن جني، الذي حدد ماهيته، وأطر قواعد العمل به، وضبط المعاني التي تنسحب على تقاليبه، فكان نقطة تحول في الدراسات اللغوية التراثية، ومركز افتراق لما جاء به الخليل بن أحمد الفراهيدي بخصوص هذه القضية، فلا يكاد يذكر ابن جني إلا مقترنا به، فشاع عند الباحثين والدارسين، والتزمت به المدارس اللغوية الحديثة، فصنفت فيه المصنفات، وتناوله العلماء بالبحث والدراسة.

وينسب أبو الفتح عثمان بن جني فكرة نشوء اللغة إلى النظرية الصوتية القائلة أن أصوات الطبيعة تدل دلالة مباشرة عن مدلولات بعينها: "لقد آمن ابن جني بالنظرية الصوتية علة واقعية لأصل نشوء الألفاظ ، وذلك في معرض حديثه عن أصل اللغات، إذ إن الواقع العملي يعضد هذا المذهب ويؤيده"[2].

ويتبيّن من التحليل السابق أن ابن جني اعتمد في إيجاد مرتكزات عقلية ودعائم منطقية على الجانب الحسي العقلي الذي تبنته النظرية الصوتية.

واللافت في القضية أن التقاليب الأصلية للاشتقاق الأكبر عند ابن جني كلها أصول، وهذا يشكل لب الإشكالية، لأن الاشتقاق المعهود يعقد أصلا واحدا تنسلخ منه ما لا عد له من الصيغ تستدعي المعاني التي تحملها كل صيغة.

---

[1]– السيوطي جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ص: 36.

[2]– الدكتورة سيروان الجنابي ،الاشتقاق عند ابن جني دراسة تحليلية ، كلية الآداب جامعة الكوفة ، العراق ، ص: 06.

وسبْق الاشتقاق الأكبر عن الأصغر مبرّر من منظور :"أن جميع التقليبات قد سبق اشتقاقها من الأصوات الثلاثية (الأصول) التي هي أساس نشأة الألفاظ ، فكان من حيث الترتيب المنطقي، وجوب الإقرار بأسبقية الاشتقاق الأكبر على الصغير"[1].

وتضيف الدكتورة سيروان الجنابي صاحبة المقال موضحة الملمح العقلي في نظرية الاشتقاق الأكبـر، والذي يوضـح التبني الفكري والمذهبي لمنهج ابن جني الملازم لمنهج المناطقة والمتكلميـن، الذين أضفوا على المباحث اللغوية تخريجات عقلية صرفة :"وهذا يوضح ملاحقة اللغـة، وتلازمها لتطور العقل، فما الاشتقاق إلا صورة من صور التشكل الذهني المتداخل المتطور، وما كان هذا حاصلا في وقت نشأة اللغة الأولى، وبهذا يمثل الاشتقاق جانبا من جوانب التطور اللغوي، وكيفية من كيفيات ديمومة اللغة، وقيمومتها على المتداولين بها"[2].

وفي الأخير لنا أن نجمل الجوانب العقلية في هذا الموضوع الذي يتمظهر حسيا في النظرية الصوتية، التي كان ابن جني أحد المنافحين عنها، ثم المقصد الغائي للغة الذي ينتهي إلى الغايات التي لأجلها صُمم الإطار النظري والإجرائي لنظرية الاشتقاق، يقول الأستاذ أحمد أمين عارضا رأي المعتزلة في إنشاء الفعل وفق غرض وغاية ، :" إن الحكيم لا يفعل فعلا إلا لحكمة، وغرض، والفعل من غير غرض سفه، وعبث، والحكيم إما أن ينتفع، أو ينفع غيره "[3].

1-5الترادف: لا يخفى على كل مهتم بالدراسات اللغوية في شقها الدلالي بأن الترادف من أكثر المسائل الدلالية انتشارا في اللغة، وذلك راجع إلى التعدد اللهجي، وتباين الأسماء الدالة على معان وذوات، فالترادف هو التقاء لفظين في معنى واحد أي ما اختلف لفظه، واتحد معناه :" لقد تميزت مشكلات الترادف والمشترك اللفظي والتضاد، بالتركز في كتب الشروح فنراها عند ابن جني في الفسر الكبير، والفسر الصغير، وشرح أرجوزة أبي نواس، والتمام في تفسير أشعار هذيل، والفتح الوهبي على مشكلات المتنبي"[4].

---

[1]- الدكتورة سيروان الجنابي ،الاشتقاق عند ابن جني دراسة تحليلية ، ص: 07.

[2]- نفسه ، ص: 04.

[3]- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، الجزء الثالث ، ص: 38.

[4]- المرجع نفسه ، ص: 83.

1-5-1-الملمح العقلي في الترادف:عقد ابن جني للترادف بابا سماه في مدونة الخصائص (باب في تلاقي المعاني، على اختلاف الأصول والمباني)[1].

ولاشك أن أبا الفتح عثمان بن جني، قد استند إلى دعامة عقلية قائمة على الذوق السليم والحس المستمد من تأمل الظواهر الدلالية للغة، وترجيح الدواعي العقلية لتقريرها، ولا نجد شاهدا يدلو بدلوه في تأكيد هذا المنحى خير من صاحب المدونة حيث يعتبر الترداف من أسباب مرونة اللغة وقدرة تحركها، واستيعابها كمّا هائلا من الألفاظ، يقول ابن جني في ذلك :"فالتأني، والتلطف في جميع هذه الأشياء وضمّها، وملاءمة ذات بينها هو خاص اللغة، وسرها، وطلاوتها الزائفة، وجوهرها، فأما حفظها ساذجة، وقمشها محطوبة هرجة فنعوذ بالله منه، ونرغب بما أتاناه سبحانه عنه"[2].

1-**6-المشترك اللفظي:**يكتسي هذا الضرب الدلالي أهمية بالغة في إثراء القاموس والمعجم اللغوي،وهذا ما اصطلح ابن جني على تسمِيَّته (باب في اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين في الحروف والكلمات والسكون)[3].

1-6-1-الوجه العقلي للمشترك اللفظي:وابن جني من أنصار هذا الصنف الدلالي، أورده في مصنف الخصائص واتخذه مطية لشروح وإبراز معاني شعر المتنبي في كتاب (الفسر): "ومما جاء في الفسر لابن جني نعرض المعاني التي تؤديها صيغة (الواجد) على الرغم من اختلاف المصدر الذي اشتق منه، فالواجد الحزين، والواجد واجد الضالة، والواجد الغضبان، والواجد العالم"[4].

ومن هنا ظهر إلحاح ابن جني إلى كون تعدد المعاني مع اتفاق اللفظ أقرب إلى الذهن والحس وبالتالي أقرب إلى الإدراك العقلي.

1-7التضاد: للتضاد فوائد لغوية جمة :" فهو مظهر من مظاهر سعة اللغة العربية، ومرونتها، ووسيلة من وسائل التنوع في الألفاظ والأساليب وقد وسع تنوع استعماله من دائرة التعبير في العربية، فكان بهذا خصيصة من خصائص لغتنا في مرونتها وطواعيتها"[5].

---

[1]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الثاني ، ص: 74.

[2]- نفسه ،ص: 72.

[3]- نفسه، ص: 61.

[4]- الدكتور فايز الداية ، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، د ط ، ص: 88.

[5]- الأستاذ الدكتورعبد الغفارحامد محمد هلال، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني، الجزء الثاني، ص: 974.

1-7-1التبريرات العقلية والمنطقية في إثبات التضاد:دأب أبو الفتح عثمان بن جني إلى إقحام الحجج العقلية، حيث أيّد فكرة وجود التضاد في اللغة، لكنه أبدى شرطا واحدا هو أن لا يقتصر على حي من أحياء العرب، بل يتعداه إلى حي آخر، ومن هنا تحال نظرية المؤيدين لهذا النوع الدلالي إلى كثرة الاستعمال: "فنظرية الاتساع المذكورة أمر عقلي بحت لا يمس الواقع اللغوي، ولا يوجد ما يؤيده من الدلائل أو الشواهد العلمية أو المعجمية، كذلك فإن الناطق يهمه التعبير عما يحتاجه، وذلك يكفي فيه لفظ واحد، ومعنى واحد، حتى يكون الأمر واضحا للسامعين"[1].

إجمالا: فإن أبا الفتح عثمان بن جني قد أعطى لهذه المباحث الدلالية التي لاتستطيع أن تستغني عنها أية لغة إنسانية أبعادا عقلية منطقية بحتة ،وهذه التخريجات ربما انفرد بها بين علماء عصره على أقل تقدير، مما يبعث على الجزم بأنه عالم موسوعي ، تتفاعل لديه اللغة مع معطيات علمَي الكلام والفقه .

[1]- الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال،عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني،الجزء الثاني، ص: 978.

المبحث الثاني: المستـوى الصوتــي

1- نماذج من التخريجات العقلية لابن جني في علم الأصوات

بذل العلمـاء العـرب قبل القرن الرابع الهجري قصارى جهدهم في التأسيس لعلم الأصوات، وكان أول من طرق الباب الخليل بن أحمد الفراهيدي عندما جعل تقسيم معجمه العين على أساس صوتي، والواضح حتى التسمية وضعت على هذا الأساس، وحذا حذو الخليل تلميذه سيبويه الذي توسع في ضبط مخارج الحروف، وصفاتها، لكن كل هذه الأعمال الجليلة التي جاءت بكورة وإرهاصا يُؤسس لعلم أصوات مزدهر، لم ترق إلى المستوى الذي يجب أن تستحقه، فظلت ملاحظات متناثرة في معجم الخليل، وكتاب سيبويه.

والذي يستحق الإشارة والتنويه هو أن الدراسة الصوتية عند العرب لم تكن بمعزل عن المستويات اللغوية الأخرى، فكانت الدراسة الصوتية القاعدة التي ينطلق منها البحث في جميع مجالات اللغة: "لعله من المفيد أن نعرض أبرز جهود العرب في الدراسات الصوتية، وقبل هذا نذكر أن العرب لم يعالجوا الأصوات وحدها، إنما كانت معالجتهم لها مع قضايا لغوية أخرى، وكان لها قيمة تاريخية وعلميـة، وهذه المعالجــة أخذت اتجاهـات متعددة، فهو عند أصحاب المعاجم والنحاة واللغويين، والمعنيين بإعجاز القرآن، وعلماء التجويد والقراءات القرآنية"[1].

1-1-الصوت والحرف عند ابن جني:

الأكيد الذي لا ريب فيه أن صاحب كتاب الخصائص قد أصّل لعلم الأصوات، فسماه علما، فقد أخذ السبق في وضع حد فاصل بين الحرف والصوت، إذ لم يكن هذا التقسيم معروفا قبله، ومردُ ذلك الخلفية المنطقية المستقاة من الانتماء الاعتزالي للرجل، يقول الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال :"عَرف ابن جني الصوت بأنه عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا"[2].

وقد شاطر ابن جني نفسـه الدكتـور حامـد هـلال في هذا الطرح فيقول في كتابه (سر صناعة الإعراب) :"اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطــع تُثنيه عن امتداده، واستطالته، فيسمى المقطع

[1]-عبد الفتاح المصري ، الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية المعاصرة ، مجلة التراث العربي، العددان: 15/ 16، دمشق – سوريا 1984، ص: 03.

[2]- الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال ، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني الجزء الثاني، ص : 519.

أينما عرض له حرفا، وتختلف الأجراس بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك"[1].

فخلاصة تعريف ابن جني للصوت بأنه حركات فيزيائية ذات آثار سمعية ،بينما الحرف هو المعطى الخطي الذي يتجلى نتيجة فعلية لهذا الصوت، ولذلك نجد مجموعة كثيرة من الأصوات تحيلنا إلى عدد أقل من الحروف.

والذي يعنينا في هذا النقاش كيف اهتدى الرجل إلى إسقاط المصطلح الاعتزالي الكلامي العقلي على الصوت والحرف، فأكد بأن الصوت عبارة عن عرض، أما الحرف فهو جوهـر، لقد جعل العلاقة بين الصوت والحرف كالعلاقة التي أقامها المعتزلة بين العرض والجوهر، يقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام) ناقلا رأي شيخ المعتزلة النّظام ت(231هـ) : "وكان النّظام يرى أن الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعـت، وأن العالـم خُلـق دفعة واحدة على ما هو عليه من معادن ونبات، وحيوان، وكل ما في الأمر أن المتأخر منه في الزمان كامن في المتقدم، فالتقدم والتأخر إنما يقعان في ظهورها من كمونها دون حدوثها ووجودها"[2].

والنتيجة المتوصل إليها هي أن أبا الفتح عثمان بن جني قد استعار هذين المصطلحين وقام بإجراء تطبيقات نموذجية على مبحث صوتي هام ظل لقرون حبيس التداخل والغموض.

1-2-الإمالـة:

اقتصر مفهوم الإمالة عند الأقدمين في جنوح الفتحة إلى كسرة، فتنقلب الألف صوتيا ياء، أما ابن جني فقد شكلت أبحاثه في هذا الباب إضافات قيمة تعزى إلى تضلعه في هذا العلم، وتفننه فيه، ومن هذه الإضافات ما ذكره الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال: "وقد أضاف ابن جني أنواعا أخرى من الإمالة، اختصرها في الفتحة تميل نحو الضمة نحو الزكاة، والكسرة نحو الضمة نحو قُيل، والضمة تميل نحو الكسرة نحو مررت بمذعُور"[3].

ونحن نتناول ملامح الجدة في الإمالة عند ابن جني فإنه يجسّد بما لا يدع مجالا للشك أصلا ثابتا من أصول المعتزلة التي زخرت بها مدونة الخصائص (المنزلة بين

---

[1]- ابن جني ، سر صناعة الإعراب، الجزء الأول ، ص: 06.

[2]- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، الجزء الثالث ، ص: 104.

[3]- ينظر عبد الغفار حامد محمد هلال ، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني ، الجزء الأول ، ص :401/400.

المنزلتين) فعندما أخذنا نوعا من الإمالات التي جاءنا بها كإمالة الضمة نحو الكسرة في قولنا (مررت بمذعُور) فحركة العين لا هي ضم، ولا هي كسر، ولكنها بين بين، وهذا استدلال عقلي كلامي يختلف عن التقعيد اللغوي الصوتي الذي أظهر الإمالة في أن تميل الفتحة نحو الكسرة وكفى.

1-3-الإدغـام:

الإدغام مبحث لغوي صوتي معروف في الدراسات اللغوية عند العرب، قال المبرد ت(285هـ) "اعلم أن الحرفين إذا كان لفظهما واحد، فسكن الأول، الأول منهما فهو مدغم في الثاني، وتأويل قولنا مدغم أنه لا حركة تفصل بينهما، فإنما تعتمد لهما باللسان اعتمادة واحدة، لأن المخرج واحد، ولا فصل، وذلك كقولك: قطّع وكسَّر، وكذلك محمَّد ومعبَّد"[1].

وتعريف أبي علي الفارسي في كتابه (التكملة) يكاد يكون شرحا للأول: " الإدغام أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة، وذلك كقولك: مُــدَّ، وفِــرَّ، وعَــضَّ"[2].

ومن المقاصد العقلية التي توخاها أبو الفتح عثمان بن جني في الإدغام وأضربه أن: "اللغة العربية تكره توالي المتحركات في الكلام وتأباه في الكلمة الواحدة، إذا زادت المتحركات على أربعة حروف.

وابن جني يعد لغويا متميزا بالدقة والإصابة في الرأي، حين أشار إلى حدوث الثقل لاجتماع المتماثلين، وأن ذلك يؤدي إلى تخفيفهما بإتباع قانون المخالفة"[3].

ويجد المتتبع والدارس للأنظمة اللغوية في كتاب الخصائص أن النظام الصوتي أصلحها جميعا في انقياده إلى تحليل ظواهره على أسس عقلية منطقية، يقول الدكتور البدراوي زهران محقق كتاب (العمد) للجرجاني :" وهكذا نتبين من أعمال السابقين أن تدريب الذهن، وإن لم تجر على الألسنة، ولم يستعملها العرب، ومنها ما هو خاص بقواعد هذا العلم، والبحث فيه، وبيان المنهج الذي يخترع على أسسه، ويحلل في ضوئه"[4].

---

[1]- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تح محمد عبد الخالق عصيمة، القاهرة – مصر، الطبعة الثالثة، 1994، ص:333.

[2]- أبو علي الفارسي،التكملة ،تح الدكتوركاظم بحر المرجان ،عالم الكتب ، بيروت – لبنان ،ط2 ، 199، ص: 614.

[3]- الدكتور تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص: 280.

[4]- الجرجاني عبد القاهر، العمد كتاب في التصريف، ص: 40.

1-4-الحرف والحركة:

أثارت قضية محل الحركة من الحروف أهو قبلها، أم معها، أم بعدها جدلا واسعا بين علماء اللغة الأقدمين، وقد أفرد أبو الفتح عثمان بن جني بابا خاصا بهذه المسألة في كتاب الخصائص، قدم خلال هذا الباب جملة من الآراء، بدأها بملاحظة ساقها أستاذه أبو علي الفارسي مفادها أن الأمر يكتنفه الغموض واللطف معا، ثم أعطى تبريرات تقديم سيبويه للحركة على الحرف"[1].

وهناك قرائن عقليـة في موقع الحركـات من الحروف، فالجدل الدائر في محاولة تغليب تخريجة على تخريجة، مرده إلى الاحتكام إلى الحس والنفس، وتحاشي الرجوع إلى الإجماع، لأن القضية أقرب إلى أن يفصل فيها العقل، أبعد من أن يحلها الإجماع، وهذا الرأي يرجح مذهب سيبويه القائل بأن الحركة تلي الحرف أي بعده، أما الرأي الثاني فمثله أبو الفتح عثمان بن جني في أن الحركة تمثل بعض الحرف: " فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو"[2].

والرأي الثاني أي رأي صاحب مدونة الخصائص أبي الفتح عثمان بن جني مذهب غاية في اللطف، مُستمّد بذكاء من أحد أصول التوحيد الذي يدين به المعتزلة في كون التوحيد عندهم أن الذات الإلهيـة، والصفـات شيء واحد، وفي هذا الصّدد يقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام :" فلما فسر المعتزلة بالمعنى الذي ذكرنا، كانوا مضطرين أن يقولوا "إن ذات الله، وصفاته شيء واحد، فالله حي عالم قادر بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة زائدة على ذاته، لأنه لو كان عالما بعلم زائد على ذاته، وحيا بحياة زائدة على ذاته، كما هو الحال في الإنسان، للزم أن يكون هناك صفة وموصوف"[3].

وقد جاء في كتاب علم الكلام ومدارسه :" المعتزلة نفوا أن يكون لله صفات قديمة زائدة على ذاته سبحانه، وأثبتوا هذه الصفات من حيث هي عين الذات الإلهية، وهذا هو معنى التوحيد كما فهموه"[4].

---

[1]- ينظر ابن جني ، الخصائص ، الجزء الثاني ، ص: 215.

[2]- المصدر نفسه ، ص: 219.

[3]- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، الجزء الثالث ، ص: 26.

[4]- الدكتور فيصل بدير عون ، علم الكلام ومدارسه ، ص: 200.

المبحث الثالث: نماذج من اللمسات العقلية في التصريف في الخصائص

الدليل العقلي في باب (في الغرض في مسائل التصريف) رد أبو الفتح عثمان بن جني وضع مسائـل التصريـف إلى غرض وغاية عقلية، تنم عن تفكير عقلي أصيل فيه، ينأى عن تقليد سالفيه، فالمقصد من الموضوعات الصرفية هو الاستئناس به وإعمال التفكير فيه، وذلك لتمكين النفس القوة على المعطى الطارئ.

نماذج من المستوى الصرفي :

- تحري الاستخفاف في ترك الثقيل إلى المحاور الأثقل نحو حيوان أصل حييان فأبدلت الياء واوّا مع ثقلها، وذلك أن التخريجة العقلية في هذه المسألة حسية إذ الذوق العربي يقتضي الخفة، وينفر من الثقل.

- انحصار التقسيم في الحس والنفور من القبح حيث ساق ابن جني أمثلة كثيرة نذكر منها أن مروان جاء تقسيما على صيغة فعلان، أو صيغة مفعال أو فعوال، فقاس الوزنين على الحس، وتحاشي مفلان ومفوال وغيرها لأنها من الصيغ المستقبحة، وهذا الاستدلال جار مجرى الحسن والقبيح عند المعتزلة فهما عملان ذاتيان ومن ذلك فالعقل يستحسن الحسن، ويستنفر القبح، ومن هنا جاء قياس الحكم الصرفي جريا على تحكيم هؤلاء المتكلمين لسلطان العقل.

- وفي السياق نفسـه يتناول ابن جني مسألة في باب عنوانه (باب في الحمل على أحسن الأقبحين)[1]، فإذا خيرنا بين أمرين قبيحين كان اختيارنا للقبيح وترك الأقبح، ويسقط هذه التخريجة العقلية على بعض النماذج الصرفية فواو ورنتل نحن مخيرون فيها بين أن تكون أصلا في الرباعي غير مكروه، وبين جعلها حرفا زائدا أولا، وهذا مالا تقتضيه القاعدة قياسا، وكلاهما قبيح، لكن الراجح العزوف عن الأقبح في الزيادة والنزوع للقبيح في جعلها أصلا[2]، وهذا انطلاقا من القاعدة الفقهية يرتكب أخف الضررين.

- وجوب النظير في غياب الدليل: عند عدم قيام دليل استوجب حلول النظير فاللفظ (عزويت) منعت من الوزن فِعويل لأن الدليل لم يثبت أن الواو والتاء أصلان، فاحتجنا إلى

[1]– ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 187.

[2]– المصدر نفسه ، ص: 188.

تقديم النظير وهو عفريت[1]، والاستدلال العقلي بهذا الضرب ضعيف وهو من وجوه الاستئناس ليس إلا.

- علة الاعتلال والغلبة في بعض صيغ المضارع :" حيث أجمع العرب على مجيء عين مضارع فعلته إذا كانت من فاعلني مضمومة البتة وذلك نحو قولهم ضاربني فضربته أضربه، وعالمني فعلمته أعلمه، والعلـة في ذلك مصدرها عقلي يتجلى في معنى الطبيعة والنحيزة التي تغلب ولا تغلب، وتلازم ولا تفارق"[2].

- المبـررات العقلية للقلب في التحقير: قلب الألف واوا لوقوع ضمة قبلها نحو تحقير شاعر شويعر، وقلبها ياء لكسر قبلها نحو تحقير مفتاح مفيتيح، والأدلة العقلية المستساغة في هذه التخريجة :"فهذه على برهانية، لا توقف للنفس عنها، يألفها الطبع، مزيلة للبس"[3] يقول الدكتور خالد بن سليمان بن مهنا الكندي: " ويرى ابن جني في الخصائص أن علل النحو منها ما هو سبب حقيقي موجب لأن الحس يسانده، ولا يمكن أن يطيق الذوق العربي غيره"[4].

[1]– الدكتور فاضل صالح السامرائي، ابن جني النحوي ، ص: 153.

[2]– نفسه، ص: 320.

[3]– ابن جني، الخصائص، الجزء الأول، ص: 90.

[4]– الدكتور خالد بن سليمان بن مهنا الكندي ، التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث ، ص: 132.

المبحث الرابع: التخريجات العقلية في المستوى التركيبي:

4-1-الإعــراب:

مسألة الإعراب من أكثر البحوث التي أولى لها أبو الفتح عثمان بن جني العناية الكافية حيث خصص لها صفحتين كاملتين من النسخة التي حققها الأستاذ عبد الحكيم بن محمد ويكفي المتتبع لحيثيات هذا المصطلح عند شيخنا ليرى التفاوت الواضح البَين بين المفاهيم المختلفة التي تطرق إليها سائر النحاة سواء من سبق ابن جني، أو من لحقه، ومن هنا يظهر البون شاسعا في الطرح لدى الطرفين.

4-1-1مصطلح الإعراب عند سائر النحاة:

يذهب الشريف الجرجاني في تعريفه للإعراب بأنه :"اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظا وتقديرا"[1].

ويشيرالخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه إلى معان دلالية هامة تخص هذا المصطلح: "أعرب الرجل أفصح القول والكلام، وأعرب الفرس إذا خلصت عربيته، والإبل العراب هي العربية"[2].

وقد أكد شيخ النحاة سيبويه وإمام البصريين هذا المدلول للإعراب :"وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب، فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد، والجر والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضم والجزم والوقف"[3].

والمستنتج من خلال تتبع مدلول هذا المصطلح عند اللغويين والنحاة يجد تقاطعا في التخريجات المعنوية بين جلال الدين السيوطي ،وبين ابن جني، فالأول يقلب الإعراب تقليبات دلالية تتقاطع مع ما جاء في مدونة الخصائص :"فيجعل للكلمة عشر معانٍ، منها الإبانة، والإحالة والتحسين، والتغيير وغيرها"[4].

---

[1]-الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص: 88.

[2]- الخليل بن أحمد ، معجم العين ، ص: 616.

[3]- سيبويه ، الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون ، دار التاريخ ، بيروت – لبنان ، الجزء الأول ، ص: 39.

[4]-جلال الدين السيوطي ، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في النحو، تح الشيخ أحمد عزو عناية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول ، ص: 38/37

4-1-2- مصطلح الإعراب عند ابن جني:

ومن هذه الاستطرادات يمكن مُساءلة أبي الفتح عثمان بن جني عن الإضافة التي شكلها مصطلح الإعراب في مصنف الخصائص، وهنا تكمن اللمسة العقلية الاعتزالية التي فرضت دلالات عميقة في قضية تمثل جوهر النحو، بل جوهر اللغة العربية كلها وسمة من سماتها الخاصة، يقول الدكتور عبد السلام المسدي في كتابه (العربية والإعراب) :"وبعد ذلك طرق باب القول على الإعراب، فقدم شرحا مستفيضا لهذا اللفظ الاصطلاحي، بادئا على غير العُرف المطرد بالدلالة التي يختص بها المبحث النحوي، وتتناولها بالتعليل مباحث أصول النحو التي يندرج فيها كتاب الخصائص برمته، ثم ثنى بتحليل اللفظ في دلالته اللغوية الأولى"[1].

فعنصر الجدة في هذا المصطلح عند ابن جني ذلك العناق بين اللفظ والمعنى وربطه بالجانب العقلي الحسي:"ثم يستطرد ابن جني في سرد سياقات تعود بالمعنى إلى مرجعه من المحسوسات، ويختم بمعاودة الدلالة الاصطلاحية، رابطا بين المعنى المادي والمعنى النحوي الذي انتهى إليه اللفظ"[2].

وانطلاقا من تحليل الدكتور عبد السلام المسدي فإن ابن جني أحرز سبقًا لافتا للنظر في كونه أول اللغويين ربطا بين الوجه الحسي لمصطلح الإعراب قبل دلالاته الاصطلاحية المختلفة.

4-2-البنـاء:

عند تعقب المبحث الذي خصصه ابن جني للبناء، ومحاولة تشريح حيثياته، يتبيّن أنّه عالج المسألة من جانبها الحسي، الذي يدعم ملكه إدراك القارئ للموضوع، هذا الإدراك الذي يعتبر أحد ركائز التفكير العقلي المستمد من اعتزال الرجل.

4-2-1-البناء بين الفهم التقليدي والمنظور العقلي: لا يعدو البناء في نظر أغلبية النحاة أن يكون لزوم حركة واحدة آخر اللفظ مهما تباينت الوظيفة النحوية لهذه الكلمة، وبخلاف ذلك ارتأى أبو الفتح عثمان بن جني أن يحشد مجموعة من المبررات الحسية للاستدلال على عقلية تخريجته، ووضع هذا المصطلح في الموضع الذي يستجيب للنظرة الاعتزالية له فقد حاول ببراعة فائقة الربط بين السياق الدلالي للبناء، وحسية التمثيل عندما علق قائلا : "

---

[1]-الدكتورعبد السلام المسدي ، العربية والإعراب ، مركز النشر الجامعي – تونس، طبعة 2003 ، ص: 102/101.

[2]- نفسه، ص: 102.

وكأنهم إنما سموه بناء، لأنه لمَّا لزم ضربا واحدا فلم يتغير تغير الإعراب، سمي بناء من حيث كان البناء لازما موضعه، لا يزول من مكان إلى غيره، وليس كذلك سائر الآلات المنقولة المبتذلة، كالخيمة والمظلة، والفسطاط والسرادف ونحو ذلك"[1].

ولتأكيد الوقفة المنطقية العقلية التي استدل بها صاحبنا يمكن تقديم طائفة من الاستشهادات القرآنية التي نقدمها تدعيما لهذا الموقف، قال الله تعالى﴿**وأخذَ الذين ظَلموا الصيحةُ**﴾ **هود الآية 67** وقال﴿ **أُذِن للذين يُقاتلون بأنّهم ظُلموا**﴾ **الحج الآية 39** وقال في آية أخرى﴿ **إنّ الذين آمنوا وعمِلوا الصّالحاتِ إنّا لا نُضِيع أجر من أحْسن عملاً**﴾ **الكهف الآية30.**

عند تأمل كلمة (الذين في الآيات الكريمة) لزمت حركة بناء واحدة هي الفتحة رغم اختلاف موقعها الإعرابي من آية لأخرى، فكلمة {الذين} في الآية 67 من سورة هود وظيفتها النحوية مفعول به، أما وظيفتها في الآية 30 من سورة الحج اسم مجرور بينما في الآية 39 من سورة الكهف وظيفتها النحوية اسم إنَ، ومن هنا فمآل كلمة الذين ثبات البناء على الفتح باختلاف تواجدها في تراكيب الآي الكريم.

4-3 النحـو:

تظافرت عوامل عدة لنشوء النحو دينية، سياسية وقومية، فهذه العوامل دفعت العربي إلى دراسة اللغة، ووضع دستور يُقنّن ويُقعّد المستويات اللغوية كافة بدء بالدراسة الصوتية فالصرفية فالنحوية، هذه القوانين من شأنها أن تحمي السليقة المتوارثة من الاضمحلال.

والعامل الديني هو العنصر الرئيس في إقبال علماء العربية على العناية الفائقة، لأن هذه الأخيرة تعني الحفاظ على النص المقدس القرآن الكريم الذي طاله اللحن بسبب دخول الأمم المجاورة للعرب في دين الله أفواجا، وفي هذا الصدد يقول الدكتور تمام حسان :"من هنا كان الخوف على القرآن حينا من عوادي الفتنة وحينا من مخاطر اللحن هو الدافع للسلف الصالح من المسلمين إلى اتخاذ خطوات مخلصة تقيِّهً سَعَوْابِهَا إلى المحافظة على النص القرآني من أهواء التحريف وأخطاء اللحن"[2]

وبتطور الدراسات اللغوية وتخصيصها، وتفرع المدارس النحوية، واختلاف الأفكار والمذاهب تشعب المفهوم الدلالي لمصطلح النحو، وإن المتأمل في آثار أقطاب هذا العلم

[1]-ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 48.

[2]- الدكتور تمـام حسان ، الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، ص: 24.

ليرى بما لا يدع مجالا للشك أن النحو علم يستنبط القواعد من خلال استقراء كلام العرب فهو صناعة تقف على ما صح وفسد من كلام العرب شعرا ونثرا.

أما ابن جني فإنه يحيل المصطلح إلى مفهوم عام شامل تقريبا لكل علوم اللغة ويحدد غاية واحدة من دراسة هذا العلم هي إلحاق غير العربي بلغة العرب، جاء في الخصائص :"أن النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير، التكسير الإضافـة، النسـب، التراكيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها، وإن لم يكن منهم"[1].

ومن خلال هذا التعريف العام لهذا المصطلح تتضح تحديد ابن جني للأبعاد العقلية والغايات الموضوعية التي من أجلها وضع النحو: "فأبو الفتح مع أنه عرفه تعريفا عاما وأطلقه على علم العربية، يحدِّد مرة ثانية له غايته ويعين موضوعه، ويميزه عن علوم اللغة الأخرى، كما فعل المتأخرون"[2].

وإذا كان أبو الفتح عثمان بن جني يجنح إلى الاسترسال في تقديم المفاهيم اللغوية وينحو في ذلك إلى التفكير الحر الذي طبع فكر الاعتزال، حيث اتجهت تخريجات النحو العقلية: "اتجاها دقيقا نحو التنظيم والترتيـب والربط، ومعالجة القضايا الكلية بطريقة علمية تجمع عن العرب مادة البحث، ثم تنظر فيها، وتضع لها المقومات والأسس، مستنتجـة منها مبادئ اللغة، واتجاهاتها، وخصائصها البارزة"[3].

4-4 توكيد المجاز:

يقول العلامة ابن منظور في لسان العرب :"الحقيقة في اللغة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه، والمجاز ما كان بضد ذلك، وإنما يقع المجاز، ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي الاتساع، والتوكيد والتشبيه"[4].

وقد ذكر أبو الفتح عثمان بن جني في باب توكيد المجاز شواهد عدة :"ومثل توكيد المجاز فيما مضى قولنا قام زيد قياما، وجلس عمرو جلوسا، وذهب سعيد ذهابا ونحو ذلك،

---

[1]- ابن جني، الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 45.

[2]- الدكتور فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي، ص: 290.

[3]- الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال ، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني، الجزء الثاني ، ص: 125.

[4]-ابن منظور ، لسان العرب ، الجزء الثالث ، ص: 300.

لأن قولنا قام زيد، ونحو ذلك قد قدمنا الدليل على أنه مجاز، وهو مع ذلك مؤكد بالمصدر"[1].

ويُدرج أبو الفتح شاهداً ثانيا: الآية الكريمة ﴿**وكَلّم اللهُ موسى تكليماً**﴾**النساء الآية164** جريا على مذهب أهل الكلام والمعتزلة :"إذا كان الله وصفاته وحده لا يقبل التغيير، فمحال أن يكون القرآن كلام الله على معنى أنّه صفة من صفاته"[2].

وساق آية كريمة ثالثة شاهدا ﴿**اللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ**﴾ **الرّعد الآية 16** وقد ذهبت المعتزلة إلى أن الله تقدست صفاته :"لا إله سواه ولا شريك له في ملكه، ولا وزير له في سلطانه، ولا معين على إنشاء ما أنشأ، وخلق ما خلق، ولم يخلق الخلق على مثال سبق، وليس خلقه شيء، بأهون عليه من خلق شيء آخر"[3].

4-5 العامل:

4-5-1 العامل بين الإلغاء والإثبات:

مسألـة العامـل من أقدم المسائـل التي ناقشها النحاة، فهذا شيخهم سيبويه يعرض في كتابه :" إنما ذكـرت لك ثمانيـة مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل، وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه، وبين ما يبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب"[4].

ومن هنا يتبين إيمان أوائل النحاة، لا سيما نحاة المدرسة البصرية بهذه القضية، يقول الدكتور محمد إبراهيم البنا محقق كتاب (الردّ على النُّحاة) لابن مضاء القرطبي ت(592هـ) :" لا نعلم قبل ابن مضاء من دعا إلى إلغاء القول بالعامل في النحو، على كثرة المآخذ التي وجهت إلى النحو والنحاة"[5].

---

[1]- ابن جني، الخصائص ، الجزء الثاني ، ص:313.

[2]- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، الجزء الثالث ، ص: 30.

[3]- المرجع نفسه ، الجزء الثالث ، ص: 22.

[4]-سيبويه ، الكتاب، الجزء الأول ، ص:39.

[5]- ابن مضاء القرطبي ، الرد على النحاة ، تح الدكتور محمد إبراهيم البنا ، ص: 12.

فهناك إجماع بين جل النحاة، وعلى مختلف مشاربهم، وتعدد مناهجهم على الأخذ بنظرية العامل، إنما التباين حدث في تحديد العلاقات بين العامل والمعمول، وأضرب العامل.

واللافت للانتباه، ونحن نتناول نحوي أندلسي تطرق إلى حد بعيد في إقصاء هذه النظرية، فأحدث بذلك جدلا واسعا، وأوقع شرخا عظيما في الدراسات النحوية، مع ما أبداه من اعتراف وإقرار بنزوع النحاة نحو إثبات هذه النظرية، فابن مضاء يؤكد بأن القول بالعامل حمل النحاة على الاتفاق المطلق، ولم يدع واحدا منهم إلى الشذوذ:" فإن قيل، فقد أجمع النحويون عن بكرة أبيهم على القول بالعوامل"[1].

4-5-2العامل عند ابن جني:

دعا المنهج إلى اختيار واحد من غلاة النحاة الذين وقفوا موقفا رافضا لفكرة العامل من الأساس ذلك ما تبناه ابن مضاء الأندلسي، الذي يعتبر أشد المناوئين لهذا الطرح في تاريخ النحو عند العرب، وعلى الطرف النقيض يقف العلامة ابن جني في إيمانه وإثباته لهذه النظرية، بل هو في طليعة العلماء والنحاة الذين يسيرون في هذا الخط، لاعتبارات عديدة أهمها السير عل نهج شيخيه الخليل وسيبويه، ثم انخراطه في الاعتزال الذي أملى عليه قناعات وتخريجات عقلية سنذكرها في مواضعها.

وفي هذه الأثناء قسم أبو الفتح عثمان بن جني العامل إلى عامل لفظي، عامل معنوي، عامل لفظي معنوي، والتباين الذي يصل إلى حد الخلاف المسجل بين النحاة وابن جني هو أن الأخير نحى بفكرة العامل إلى التفكير العقلي المستوحى من فكر المعتزلة، حين أضفى على تخريجته في هذا الشأن مسحة عقلية، وذلك حين نسب العمل الحقيقي إلى المتكلم، قال ابن مضاء القرطبي معلقا على منهج ابن جني في الاستدلال للعامل: " العمل الحقيقي إنما هو للمتكلم، وليس لما يقوله النحاة من الألفاظ ومعانيها"، فالتمس من العقل دليلا على إبطال عمل الألفاظ"[2].

ويعترف صاحب الخصائص صراحة في نسبة العمل اللفظي والمعنوي إلى المتكلم نفسه فيقول: "فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم هو للمتكلم نفسه، لا لشيء غيره"[3].

---

[1]-ابن مضاء القرطبي ، الرد على النحاة ، ص: 18.

[2]- نفسه ، ص:13/12.

[3]-ابن جني، الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 111.

فالتخريجة العقلية "هي للمتكلم نفسه" مستوحاة من مسؤولية الإنسان في خلق أفعاله بذاته التي نادى بها المعتزلة، يقول الأستاذ أحمد أمين: "فأكثر المعتزلة يقولون إن أفعال العباد مخلوقة لهم، ومن عملهم هم، لا من عمل الله، وباختيارهم المحض، ففي قدرتهم أن يفعلوها، وأن يتركوها من غير دخل لإرادة الله وقدرته"[1].

فالعوامل عنده كما أسلفنا عامل لفظي، عامل معنوي، عامل لفظي معنوي فاللفظي كقول الله تعالى: ﴿ **فتلقَّى آدمُ من ربِّه كلماتٍ**﴾ **البقرة الآية (37)** فمِن هي التي عملت الجر في لفظ ربه، وأما المعنوي فالذي لا يصحبه لفظ مسبب للعمل، نحو رفع المبتدأ بالابتداء مثل قول الله تعالى: ﴿**ومَنْ يكفرْ بالإيمانِ فقد حَبِط عملُه**﴾ **المائدة الآية (05)** فالذي عمل في رفع المبتدأ (مَن) عامل معنوي هو الابتداء، وأما اللفظي المعنوي كالذي أوقع الرفع في خبرالمبتدأ،المبتدأ والابتداء نحو قوله تعالى﴿**اللهُ يستْهزِئ بِهم**﴾**البقرة الآية (15)** فالجملة (يستهزئ بهم) خبر مرفوع بعاملي المبتدأ لفظ الجلالة (الله) عامل لفظي، والابتداء عامل معنوي.

وخلاصة القول فإن أبا الفتح عثمان بن جني كما يقول الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي :"مؤمن بنظرية العامل ويطبقها فيما يرجح أو يرفض"[2].

وفي ختام حديثنا عن العامل عند ابن جني فإننا نصل إلى نتيجة تتجلى وتتمظهر في أنه أسقط فكرة خلق الإنسان لأفعاله المستوحاة من أصول الاعتزال على هذه النظرية وبذلك كان الانسجام بين التخريجة الكلامية العقلية والقاعدة اللغوية .

4-6التجلي العقلي في علة رفع الفاعل ونصب المفعول:

اعتبر أبو فتح عثمان بن جني علة وجــوب رفع الفاعل تميزه بالانفراد في الكلام العربي، وعلى وجوب نصب المفعول احتمال تعدده، ومرد هذا كله إقبال العرب سليقة على الخفة استحسانا، وتركهم للثقل نفورا منه، فخرَّج بذلك هذه المسألة النحوية تخريجة عقلية تمظهرت في قوله :"فجـرى ذلك في وجوبـه، ووضوح أمره مجرى شكر المنعم، وذم المسيء في انطواء الأنفس عليه، وزوال اختلافهما فيه، ومجرى وجوب طاعة القديم سبحانه، لما يعقبه من إنعامه وغفرانه"[3].

---

[1]-أحمد أمين، ضحى الإسلام ، ص: 45.

[2]-الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي، ص: 194.

[3]-ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 58.

ولأجل التمثيل ندرج قول الله تعالى﴿**كَذلك يُرِيهم اللهُ أعمالَهم حسراتٍ عليهم وماَ هُم بِخارجينَ مِنَ النّار**﴾ **البقرة الآية 167**، والشاهد في انفراد لفظ الجلالة (الله) بوظيفة الفاعل في الآية الكريمة الذي اقتضى الرفع، ثم توالي ثلاثة مفاعيل في الآية الكريمة نفسها (الضمير هم) أعمالهم، حسرات، فالخفة ألزمت رفع الفاعل، ونصب المفاعيل المتتابعة.

4-7-الحكم يقف بين الحكمين:

تخريجة غاية في اللطف، وقمة في النباهة، ساقها ابن جني من أصل ثابت من أصول المعتزلة " المنزلة بين المنزلتين" فهذا الأصل الذي يعتقد به هؤلاء هو أن الفاسق لا هو من زمرة المؤمنين، ولا هو من منزلة الكفار بل يتبوأ منزلة بين المنزلتين، يقول الدكتور فيصل بدير عون: "وهذا الأصل عندهم وكما أشرنا يعني أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا ولا كافرا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، كما قرر ذلك وأصل بن عطاء الغزال(ت181هـ) حيث ذهب إلى أن هذه المنزلة، درجة بين درجتين أو هي حكم بين حكمين أحدهما خاص بالمؤمن، والآخر خاص بالكافر"[1].

واللافت في مناقشة ابن جني لهذه القضية اللغوية النحوية أنه طبقها إجرائيا على مستوى الاصطلاح والنظرية والمنهج، حيث شرح هذه المسألة في نقطتين.

الأولى: في الكسرة الواقعة قبل ياء المتكلم والشاهد في ذلك قوله تعالى ﴿**يقولُ يا ليْتَني قدّمتُ لِحياتِي**﴾ **الفجر الآية 24**، فكسرة حرف التاء من كلمة حياتي في الآية الكريمة، لا هي حركة إعراب ولا بناء، فوضعها لاشتغال المحل بها، وليست كسرة ناتجة عن الاسم المجرور، ولإزالة اللبس نسوق آية كريمة أخرى تكون فيها الكسرة في موضع الفتحة المقدرة، يقول عز وجل ﴿**قُلْ إنّ صَلاتِي وَنُسُكِي ومَحْيَايَ ومَمَاتِي لِلّهِ ربِّ العالمينَ**﴾**الأنعام الآية 162**، فالكسرة الواقعة على حرف التاء من كلمة صلاتي في موقع الفتحة المقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل.

الثانية: يقول ابن جني: " ومن ذلك ما كانت فيه اللام والإضافة، نحو الرجل وغلامك، وصاحب الرجل، فهذه الأسماء كلها وما كان نحوها لا منصرفة ولا غير منصرفة، وذلك أنها ليست بمنونة فتكون منصرفة، ولا مما يجوز للتنوين حلوله للصَّرف "[2].

---

[1]- الدكتور فيصل بدير عون ، علم الكلام ومدارسه ، ص: 221.

[2]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 242.

المبحث الخامس: أصـــول النحو

الحقيقـة الثابتة أن العرب أمة أمية، لا تعرف القراءة ولا الكتابة، جاء في الذكر الحكيم﴿**هو الذي بَعث في الأميِّين رسولاً منهم يَتلُو عليهم آياتِه ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا من قبلُ لفِي ضَلالٍ مبينٍ**﴾ **الجمعة الآية (02).**

ومن هنا ظهر التحدي الذي بقي ماثلا أمام العربي في حمل هذا الزخم الهائل من التراث اللغوي والأدبـــي من جيل إلى جيل، وبعث الحضارة العربية الإسلامية وتقديمها في ثوب مشرق إلى الأمم، خاصة ما أملته الظروف التي طرأت في الفتوحات الإسلامية، والتفاعل العلمي والثقافي الذي حدث بين العرب وبقية الأمم.

5-1- حاجة العرب للسماع: أجمع العلماء أن السماع عبارة عن نقل النص عن الموثوق بالرواية نقلا صحيحا، يعتمد الكثرة، ويتحاشى القلة، وقد بَدَأ العرب ميالين لهذا الأصل منذ بداية جمع اللغة، لما له من شأن في حفظ اللغة منثورها ومنظومها، وصونها من الضياع، وتُطلعنا كتب اللغة أن فطاحلة علماء العربية تنبهوا لهذا الأصـل فأخذوا به، وعلى رأس هؤلاء سيبويه، يقول الدكتور شوقي ضيف :" ويتردد في الكتاب سماعه عن علماء اللغة الموثوقين في موطنه وفي مقدمتهم أستاذه الخليل، وله في الكتاب القدح المعلى، ويليه يونس بن حبيب، وقد نقل عنه أكثر من مائتي مرة"[1].

وما فتيء السَّماع معتمدا في النقل والرواية عن الموثوق، فهو لا يقل شأنا عن القياس، إذ الحاجة إليه في جمع اللغة ملحة، فهو من أهم المصادر لما يشمله من مفردات واستعمالات، مثلت أصح النصوص للغـــة التي وصلتنا، ومع الرواية فقد قيد المقيدون المعطيات اللغوية التي سمعوها عن القبائل العربية الضاربة في البداوة، ومن هنا ظهر عصر التدويـــن الذي تصدى فيه الرواة مع بدايات القرن الثاني الهجري في توثيق اللغة في دواوين: "وكان هؤلاء الرواة لا يكتفون بالسماع من جلّ الرواة السابقين فكانوا يرحلون إلى الصحراء العربية ليتوثقوا مما يرونه على نحو ما هو معروف عن الأصمعي نفسه وعن أبي عمرو بن العلاء والشيباني"[2].

5-1-1- السماع عند ابن جني: لعلنا لا نبالغ إذا قلنا بأن السماع أصل شائع عند العرب، لا يمكن الاستغناء عنه، وقد خصص له أبو الفتح عثمان بن جني مباحث عدة في

---

[1]- شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ص: 81.

[2]- شوقي ضيف ، العصر الجاهلي، دار المعارف ، القاهرة – مصر، الطبعة 11، ص: 161/160.

مدونة الخصائص، فقد قدم في الكثير من الأحيان هذا الأصل عن القياس في حالات خاصة، وأوضح العلاقة الوطيدة التي تجمع السماع بالقياس، فهي علاقة موافقة تارة، ومخالفة تارة أخرى، يقول الدكتور فاضل صالح السامرائي: " إذا سمع من العربي الفصيح شيء لم يسمع عن غيره، فإن كان هذا الفصيح ثقة، ولم يخالف القياس أخذ به"[1].

ويقول ابن جني نفسه معلقا على تعارض السماع والقياس وبأيهما يؤخذ :" اعلم أن الشيء إذا اطرد في الاستعمال وشذ عن القياس، فلا بد من إتباع السمع الوارد فيه نفسه، لكنه لا يتخذ أصلا يقاس عليه غيره"[2].

5-1-2-الحجج المنطقية والأدلة العقلية للسماع عند ابن جني: الاتجاه العقلي عند ابن جني مثله رافدان، رافد منطقي فلسفي مستلهم من الفكر العقلي المتأثر بالمنطق اليوناني ورافد كلامي هو الالتزام الشديد لابن جني بالمذهب الكلامي الاعتزالي، ومهما يكن من أمر فإن تأثر الرجل بهذا الفكر أو ذاك، لا يخرج عن دائرة الاستدلال العقلي للفكرين.

- وقد خلص ابن جني إلى حتمية منطقية يجري على أساسها تقديم السماع فهو مصدر أساس في أخذ العلم فصلة السماع بالقياس، صلة توافق وتعارض كما سلف ذكره.

- ومن الانتقادات التي وجهها الأستاذ الدكتور تمام حسان لابن جني في كتابه (اللغة العربية بين المعيارية والوصفية) ذلك الإسراف الذي أبداه في التقيد والخضوع التام لمنطق أرسطو في تخريجاته حول السماع قوله :" والذي يهمنا من كلام ابن جني هاهنا أن نشير إلى القسم الثاني من هذه الأقسام الأربعة، وهو المطرد في القياس، الشاذ في الاستعمال وهذا القسم لا يبدو أنه استعمل في كلام العرب، إذ إن الأمثلة التي أوردها ابن جني في هذا القسم تنحصر في بيت وقراءة ومثال.

فأما البيت:

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحبِّ حتى ودعه

وأما القراءة: ﴿**ما ودّعك ربُّك وما قلَى**﴾

وأما المثال: (أقائم أخواك أم قاعدان)[3]

---

[1]- الدكتور فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي ، ص: 148.

[2]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 101.

[3]- ينظر الدكتور تمام حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص: 46.

وأردف معلقا عن الضرب الرابع :" والرابع في القسمة لا يرضاه الاستعمال ولا القياس، ولكن القسمة المنطقيــة التي تجري في ظل منطق أرسطو جعلت ابن جني يورده ويحتج له، بما حكاه البغداديون ولكن لا يعيّن واحدا منهم، ولا شاهدا لهم"[1].

5-2- القياس:

5-2-1- صلة العرب بالقياس: القرآن الكريم هو سبب نشأة دراسة اللغة، وتفرُّع علومها وتخصصها، وفي قيام ثورة علمية أدت إلى ازدهار حركة التدوين والتأليف، ولغاية الحفاظ على هذا النص الديني تلاوة وحفظا، ولد النحو مصحِّحا ومقوِّما للسان، ضابطا مقعِّدا للأحكام حتى يفهم الناس الآي الكريم، وإن علوم اللغة عامة والنحو على وجه مخصوص، قد استمد منهجه من خلال اتكائه على علم أصول الفقه، ومن آليات هذا العلم وثوابته القياس الفقهي الذي أخذت منه العربية المصطلح والمنهج والإجراء، والذي ننتهي إليه أن القياس انتقل من أصول الفقه واستقر به المقام إلى اللغة والنحو: " والقياس الذي استقام أصلا من أصول النحو، والذي لم تستقر حدوده إلا في مرحلة متأخرة جدا عن نشأة النحو لم يكن قياس منطق وجدل، بل كان قياسا فطريا، ثم تطور بمسايرة الزمن، فآل إلى ما آل إليه"[2].

5-2-2- قراءة في القياس عند ابن جني: لا إشكال بين أبي الفتح عثمان بن جني وبين علماء اللغة حول القياس في شقه النظري المتعلق بدلالــة المصطلح والأركان والأقسام، فهناك اتفاق في: " أن القياس من أدلة النحو التي لا غنى عنها، وهو إخضاع حكم أو باب إلى مثال آخر لعلاقة تماثل أو تشابه أو اطراد أو تضاد بين المقيس والمقيس عليه بجامع العلة"[3].

وأما من حيث الأركان فمن الجلي الواضح أن ابن جني وسابقيه قد جعلوا القياس أربعة أركان أرأالمقيس، المقيس عليه، العلة، الحكم، وسلكوا نفس المسلك في تقسيماته من حيث الاطراد والشذوذ.

لكن المسائل الخلافية بين الفريقين تكمن في أن ابن جني نحا بعنصر من عناصر القياس وهو (العلة) منحى المناطقة والمتكلمين، كخلفية اعتزالية كما قد أسرفنا في الحديث

---

[1]- الدكتور تمام حسان ، اللغة العربية بين المعيارية والوصفية ، ص: 47.

[2]- الدكتور سعيد جاسم الزبيدي ، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره ، ص: 14.

[3]- الدكتور خالد بن سليمان بن مهنا الكندي ، التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث ، ص: 75.

عنها سالفا، ويعزو الكثير من الدراسين والباحثين أنّ هذا التوجُّه في المنهج الذي أبداه أبو الفتح عثمان بن جني راجع إلى شخصيّته القياسة التي نهلت أفكارها من المذهب البصري المتأثر جدا بالمنطق الأرسطي الذي تثبت جل البحوث والدراسات إلى تسلله إلى الدراسات اللغوية العربية، رغم زعم البعض أن الدراسات العربية نقية من المنطق الإغريقي لأنه لا يتماشى وخصوصية اللغة، وقدسيتها، "رغم هذا الهجوم على منطق أرسطو، والدعوة إلى منطق يتماشى مع سمات اللغة العربية، فقد كان الاتجاه الغالب الانتفاع بالدراسات المنطقية في المسائل النحوية، وليس ثمة شك في أن المنطق كان من بين العوامل الأساسية التي أثرت في نشأة علم النحو العربي وتطوره"[1]

ومن ناحية ثانية فإن الجدة في المنهج وآليات إجرائه قد بدت ماثلة للعيان في عنصر (العلة) عند ابن جني، العلة بوجه عام في جميع أدلة وأصول النحو العربي، فألحق دراسة العلل إلى سمت علماء الكـلام فارضـا التصور العقلي عند المعتزلة في الكثير من التخريجات التي تخص هذا الباب، ولا نجد شاهدا أوثق من أبي الفتح نفسه حين يقول " ثم اعلم من بعد هذا أن علل النحويين على ضربين، أحدهما مالا بد منه فهو لاحق بعلل المتكلمين"[2].

ويؤكد ذلك الدكتور فاضل صالح السامرائي تعقيبا على كلام ابن جني قائلا : "يرى أبو الفتح أن علل النحويـين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين، وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس، ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس، وليس كذلك حديث علل الفقه"[3].

5-3-المظهر العقلي في العلة: العلـة من القضايا الأساسية التي تسللت إلى اللغة العربية عن طريق علم الكلام، وعلم أصول الفقه، والذي تجدر الإشارة إليه أنها أكسبت اللغة القواعد المعيارية التي جرت على ألسنة العرب نطقا، يقول تمام حسان:" وإذا كانت العرب تعرف العلل، فلابد أن تكون أمة حكيمة، ومن ثم يصبح الكشف عن العلة من بيان حكمة العرب"[4].

---

[1]- الدكتور محمد فتحي السيوطي، أسس المنطق والمنهج العلمي ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان، د ط، 1970، ص: 33.

[2]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص:139.

[3]- الدكتور فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي ، ص :158

[4]- تمام حسان ،الأصول دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، ص :162.

فهذا عن الجانب الذي رافق العلة في تحليل ووصف الظاهرة اللغوية، وإبداء الحكم القاطع فيها، وأبو الفتح عثمان بن جني في مدونته الخصائص، يُعوّل على العلة كمصطلح متداوَل عند الفقهاء والمتكلمين في تخريج أحكام يجنح بها إلى المنطق والعقل، يقول ابن مضاء القرطبي مستطردا في موقف حديثه عن العلل عند ابن جني :"وقد رأيت ابن جني لما مثل للعلل الموجبة، مثل لها بنماذج صوتيـة، وأحالك فيها على الحس، وفي النحو علل يمكن أن تلحق بالعلل الموجبة، ولا يمكن نقضها، وهي العلل التي تنبني على وظيفة الكلمة ودلالة الكلمة هي التي تحدد وظيفتها"[1].

والحوصلة التي يمكن أن نخرج بها هو كيف اهتدى أبو الفتح عثمان بن جني إلى الفصل بين علل المتكلمين، وعلل الفقهاء؟ وكيف انقاد بعبقريته ونباهته إلى أن علل الفقهاء لا يمكن أن تكون واصفة للغة، محددة لأحكامها، لتعذر ذلك في ذاتها، وكيف أن علل الكلام أحالها الحس، والخفة إلى أن تكون نقاط تلاقي ورافدا من روافد الدراسة الوصفية الموضوعية للغة ؟

5-3-1-علل العربية بين علم الكلام وعلم أصول الفقه: أدلة النحو التي تداولتها مدونة الخصائص كما سلف بإسهاب هي السماع، القياس، الإجماع، وقد نقل ذلك ابن الأنباري في كتابه لمع الأدلة :" من أدلة النحو التي ذكرها أبو الفتح عثمان بن جني في خصائصه ثلاثة السماع، الإجماع، القياس"[2].

وكما هو معلوم فإن الرجل قد ألحق علل العربية إجمالا، وعلل النحو تخصيصا بعلل المتكلمين، لوجود نقاط تلاقي بينها، معللا رأيه باعتماد الأخيرة على تبريرات عقلية قوية كتوخي الحسّ، واجتناب الثقل، والتزام الخفة، وعلى النقيض من ذلك، جاءت علل الفقهاء عارية من الحجج التي يتبناها العقل، ويقتضيها المنطق، فهي :" تخفي الحكمة في الكثير من الأحكام الشرعية"[3].

ومن هنا وقع الفصل بشكل قاطع في هذه العلل بين ما هو كلامي، وما هو فقهي فتم إقصاء الأخيرة، وتبني المذهب العقلي الذي نادى به تيار المعتزلة.

---

[1]-ابن مضاء القرطبي ، الرد على النحاة ، ص : 37 .

[2]- ينظر ابن الأنباري ، لمع الأدلة ، ص: 21.

[3]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 71.

ويسوق الوراق في كتابه " علل النحو" مؤكدا ما ذهب إليه ابن جني في قوله:" وكانت الفكرة الموجهة له هي ما رآه تفسيرا عقليا لما نطق به العرب على سليقتهم، وما ذهب إليه من أن أوضاع كلامهم جاءت على ما تقتضيه الحكمة"[1].

5-4- الحجج العقلية للإجماع عند ابن جني: تفاعل علم أصول النحو، وعلم أصول الفقه في الكثير من الجوانب، فقد اعتمد الفقهاء على مبادئ لغوية لمعرفة مدلول النصوص فالأصولي أقام مقدمات نحوية، ومباحث لفظية كما هو الشأن عند الغزالي في كتابيه المستصفى من علم الأصول، والمنخول، ولهذا ظلت علوم العربية منهلا يستقي منه هؤلاء فإدارة مباحث الفقه مؤسسة مرتكزة على علوم العربية.

ومن جهة ثانية تأثر علم أصول النحو بعلم أصول الفقه في المصطلحات والأبواب فأغلب النحاة ساقوا مباحثهم من خلال ارتكازهم على هذه الأسس، الأمر الذي أدى إلى مظاهر تشابه أحيانا وتطابق أحيانا أخرى بين هذه وتلك.

ولعل دليل الإجماع واحد من الأدلة التي تسللت من علم أصول الفقه إلى علم أصول النحو، غير أن أبا الفتح عثمان بن جني أحاله من مصطلح فقهي صرف :" الإجماع عبارة عن اتفاق جملة أهل الحل والعقد من أمة محمد في عصر من الأعصار على حكم واقعة من الوقائع، هذا إن قلنا إن العاصي لا يعتبر في الإجماع، وإلا فالواجب أن يقال الإجماع عبارة عن اتفاق المكلفين من أمة محمد إلى آخر الحد المذكور"[2]، إلى مصطلح لغوي محض، إذ يرادف مصطلح الإجماع الفقهي سواء كان سكوتيا أم علنيا إجماع البصريين والكوفيين في مسألة لغوية ما.

ويوضح ابن جني التعويل في إثبات الحجج العقلية للإجماع، من حضيض التقليد إلى إثبات التعليل والاستدلال به على صحة المسائل اللغوية التي وقع بشأنها إجماع البلدين، يقول أبو علي الفارسي في التكملة المعروف باعتزاله، وملازمته لابن جني في ترسيخ وتحديد المظهر العقلي للإجماع :" فأما المعقول، يبعد عرفا، ويستحيل عادة في مسالك الظنون، وتعارض سبل الاجتهاد أن تتّفق الخواطر، وتتوارد الأدلة على حكم واحد في

[1]- الوراق ، علل النحو، ص: 136.

[2]- سيف الدين الأموي، الإحكام في أصول الأحكام (TO.PDF.WWW.AL.MOSTAPHA.COM)، ص:254

ملتطم الظنون، ومزدحم المعارضات، إلا عند اتفاقهم على ظهور ترجيح أحد الوجوه، والسبل التي أفضت إلى ذلك الحكم المتفق عليه، فيستحيل عادة خلاف ذلك"[1].

5-5-الملامح العقلية للاستحسان: والاستحسان في عـرف الأصوليين إخراج مسألـة جزئية من مسألة كلية مع اطمئنان النفس، وهناك فرق بينه وبين القياس: " فالقياس حمل مسألة غير منصوص عليها، بمسألة أخرى منصوص عليها، لاتحاد العلة فيهما، أما الاستحسان فهو العدول بالمسألة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر، لوجه أقوى، يقتضي العدول"[2].

والذي يثير اهتمامنا في هذا الأصل، كونه يميل إلى الاستدلال بالعقل، وذلك في بعض أنواعه، فالاستحسان:"استحسان بالضرورة، استحسان بالإجماع، استحسان بالعقل استحسان بالمصلحة"[3].

وقد سمى الأصوليون الاستحسان بالعقل، الاستحسان بالقياس :"وهو العدول عن حكم النظائر إلى آخر، لأجل دليل عقلي غير ظاهر، في اقتضاء هذا العدول"[4].

والأخير من ضروب الاستحسان هو الذي يستدل به المتكلمون وعلماء أصول الفقه في تخريج المسائل الكلامية الفقهية.

5-6- **الاستصحاب:**

5-6-1-الفرق بين الاستصحاب في النحو والاستصحاب في الفقه: الاستصحاب في النحو أصل ثابت، مؤسس، أما في الفقه فهو أصل طارئ عارض إذ حضوره مرتبط بالمسألة التي لم يوافقها نص شرعي: " الفارق بين الاستصحاب في النحو والاستصحاب في الفقه، أن النحوي قد يستدل بأصول مثالية لها وجود في اللغة، على خلاف الأصولي الذي لا يستصحب إلا ما لم يرد فيه نص، ولم يصح إلحاقه بغيره بالقياس"[5].

5-6-2 القرائن العقلية للاستصحاب:وهو استـدلال عقلي معتبر، وان اعتبره ابن جني من الأصول الثانوية في مدونة الخصائص، التي لم تذكره حتى بالاسم، وإنما ورد تضمينا

---

[1]- أبو علي الفارسي ، التكملة، ص: 614.

[2]- الدكتور خالد رمضان حسن ، معجم أصول الفقه ، ص: 30.

[3]- ينظر الدكتور خالد رمضان حسن ،معجم أصول الفقه ، ص: 32/31.

[4]-المرجع نفسه ، ص: 31.

[5]- خالد بن سليمان بن مهنا الكندي ، التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث ، ص: 108.

وتلويحا بالإشارة، عقلي من منظر أصول الفقه، يقول الإمام أبو حامد الغزالي مؤكدا الوجه العقلي للاستصحاب :" اعلم أن الأحكام السمعية لا تدرك بالعقل، لكن دل العقل على براءة الذمة عن الواجبات، وسقوط الحرج عن الخلق في الحركات والسكنات، وانتفاء الأحكام معلوم بدليل العقل، قبل ورود السمع، ونحن على استصحاب ذلك، إلى أن يرد السمع"[1].

انتبه ابن جني إلى طرائق استدلالية أخرى، إضافة إلى الأصول الثابتة التي طرحها في مدونته الخصائص، وهذه الاستدلالات تتباين مع ما سلف من أصول،انتقاها علماء اللغة من الفقهاء والمتكلمين "وفي تاريخ النحو العربي نجد طرائق استمدها النحاة من أساليب الفقهاء وعلماء الكلام"[2].

وشاع عند العلامة ابن جني في مدونته الخصائص الأخذ بالاستدلال بالسبر والتقسيم والاستدلال بعدم النظير.

7- المرتكزات العقلية للسبر والتقسيم:استفاد ابن جني من هذا الدليل كونه يعتمد في جدله ومناظراته اللغوية على التوجه العقلي للمتكلمين المعتزلة، حيث يثبتون أن الصفات الإلهية ليست من القدم في شيء، ضمن أصل هام من أصولهم، وهو التوحيد،: " وذلك أن المعتزلة قالوا بإله واحد، ولكنهم فلسفوا الوحدانية، فقالوا إن معنى وحدانيته أن ليست ذاته تعالى مركبة من اجتماع أمور كثيرة لأنه لو كان مركبا، لافتقر تحققه إلى تحقق كل جزء من أجزائه"[3].

تعرض ابن جني في الاستدلال بالتقسيم إلى مسألة الحركات والحروف أهي قبل الحروف أم معها، أم بعدها، فعرض مذهب سيبويه القائل بأن الحركة إنما تقع بعد الحرف ثم عرض مذاهب العلماء وموقعهم من هذه الملامح العقلية للحمل على الظاهر وعدم النظير.

8- الحمل على الظاهر:مفاده تقرير الحكم بالظاهر المشاهد، وترك الخفي المخالف، كان هذا مذهب سيبويه، قال ابن جني :"هذا يدلّك على قوة الظاهر عندهم، وأنه إذا كان مما تحتمله القسمة، وتنتظمه القضية، حُكم به وصار أصلا على بابه"[4].

---

[1]- الإمام الغزالي محمد أبو حامد ، المستصفى من علم الأصول، الجزء الأول ، ص: 377.

[2]- الدكتور محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، ص: 120.

[3]- أحمد أحمد أمين، ضحى الإسلام ، ص: 25.

[4]-ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 222.

9-الاستدلال بعدم النظير:استدل به أبو الفتح ذاكرا رأي سيبويه :" إذ دل الدليل، فإنه لا يجب إيجاد النظير، وذلك مذهب الكتاب"[1].

أما :" إن لم يقم دليـل، فإنك محتاج إلى إيجاد النظير...وأما إن لم يقم الدليل، ولم يوجد النظير، فإنك تحكم مع عدم النظير"[2].

من الاستدلالين السابقين نلحظ ابن جني يميل إلى الاستدلال العقلي الذي يتمظهر حساً ومشاهدة، فقد لخص موقفه بإقرار الحكم اللغوي والجنوح إلى ما يساير العقل والمنطق أي ترجيح ما قام على الحضور، وتقريره وإغفال ما خفي، وغاب عن الحس.

ويجدر بنا الإدلاء بنص ساقه الأستاذ أحمد أمين يتقاطع فيه الجدل الكلامي العقلي عند المعتزلة مع التخريجات اللغوية عند ابن جني: "وهكذا كانت نزعة المعتزلة هذه متجلية في كل أبحاثهم، يسيرون وراء البرهان إلى نهايته، ويثيرون أصعب المشاكل وأعقدها...تأولوا آيات القرآن على مقتضاها، وعلى العكس من ذلك الآخرون، رأوا أن العقل أضعف من ذلك"[3].

وهكذا وقف ابـن جنـي والمعتزلة على النص ظاهرا ومُشاهدا، إلا ما دعت الحاجة إلى تأويله.

---

[1]- ابن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، ص: 186.

[2]- نفسه، ص: 177/176.

[3]- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ص: 34.

خاتمة

خاتمة:

كان يقينا عندنا أن القرن الرابع الهجري أغزر علما، وأزهى فكرا، وبذلك ناقض الحياة السياسية والاجتماعية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ونحن نسوق الحديث عن أبي الفتح عثمان بن جني ومدونته الخصائص لأن الفكر اللغوي التراثي عند العرب، ما زال في حاجة إلى مساءلة وتمحيص واستقراء، لا سيما إذا تعلق الأمر بعمل لغوي جليل في منزلة الخصائص، بما تمثله من إبداع وتجديد في الحركة اللغوية العربية على مر العصور، وهذا العمل يستلزم باحثا متمرسا ذا فكر ثاقب واسع الأفق، بعيد النظر، لأن مدونة الخصائص فلتة دهر جاد بها الزمان في سماء القرن الرابع الهجري.

وقد ارتأيت في هذه الخاتمة أن أقف على جلِّ النتائج التي ترتّبت عن هذا البحث والتي توصلت إليها من خلال فصوله ومباحثه.

- كان أبو الفتح عثمان بن جنّي محظوظا، لأنّه عاش في حقبة مضيئة تربّعت فيها الحضارة على عرشها، فازدهرت الآداب والعلوم والفنون.

- ألف ابن جني مصنفات جليلة فاقت الخمسين أثرا لغويا ثريًا، كان أبرزها على الإطلاق مدونة الخصائص، التي اخترقت الآفاق، وذاع صيتها في كل الأصقاع.

- تلقى العلوم على يد نوابغ عصره، وعلى رأسهم شيخه أبو علي الفارسي، الذي صحبه مدة تزيد عن الأربعين سنة.

- بلغ مؤلفه الخصائص من المنزلة العلمية الرفيعة ما جعله ينال الحظوة من سلاطين آل بويه ويتشرف بصحبة شاعر العرب الفحل أبي الطيب المتنبي.

- إن كتاب الخصائص فضاء رحب تلتقي فيه الأنظمة اللغوية التي نادت بها الألسنية الحديثة.

- ابن جني صاحب كفاءة علمية فريدة، أهّلته لأن يكون ضمن مصاف النُّخبة من علماء العربية.

- لقد امتلك ابن جني الجديّة في الطّرح، والوضوح في الرؤية، والانضباط في نقل أفكار وآراء شيوخه.

- ليس في ذلك شك في أن أبا الفتح عثمان بن جني من رجال المعتزلة، تؤكد ذلك اللمسات العقلية التي تركها هذا المذهب، والتي طبعت مدونة الخصائص.

- إن كتاب الخصائص أثر لغوي ناقش بإسهاب جل علوم اللغة التي تناولها الدرس الحديث (فقه اللغة، الصوتيات، علم الصرف، النحو وأصوله).

- ما مَّيز هذا المصنف التداخل في شرح أنظمته اللغوية، الأمر الذي شكّل عائقا أمام الباحثين في التعامل معه.

- تناولت في فقه اللغة مباحث تتعلق بماهية اللغة، ومذاهب وفرضيات نشأتها، اختلاف اللهجات العربية، الاشتقاق الأكبر، الذي كان ابن جني مبدعه، وصاحب فضل وضعه ارتكازا على دراسة الخليل بن أحمد في تقاليبه الشهيرة، ناهيك عن بحوث في المرادف والتضاد، والمشترك اللفظي.

- رسمت هذه المدونة الخطوط العريضة لعلم الأصوات عند العرب، فحدّدت مفهوما للفونيم، وميَّزت بين الصوت والحرف، ودرست الإدغام، وصنّفت أضْرُبه.

- ناقشت القضايا الكبرى للنحو على غرار النحو، الإعراب، البناء، وأوْلت اهتماما بقضية العامل فقسمته إلى عامل لفظي وعامل معنوي وعامل لفظي معنوي، كما كان لها استطرادات في علم الصرف، تجلى ذلك في أبواب صرفية قارة، ومباحث متناثرة بين طيّات الكتاب.

- إن مدونة الخصائص من المصنفات الرائدة التي حفلت بعلم أصول النحو، حيث أخذت السبق في التأسيس الفعلي لهذا العلم، والتأصيل له.

- أثرى ابن جني كتابه الخصائص بمسائل شتى في هذا العلم، فبيَّن أن السماع أصل هام، تم به نقل المعطيات اللغوية عند الأعراب، ثم تكلم عن الضوابط التي ينبغي أن تحكم هذا المصدر.

- إن القياس أصل ثابت من أصول اللغة لا يقل أهمية عن سالفه له تقسيمات في لغة العرب من حيث الاطراد والشذوذ.

- في المدونة دراسة تفصيلية للعلة فهي ركن وفرع من فروع القياس، والتطرق إلى أنواعها وفق منهج الفقهاء والمتكلمين، فمنها الموجبة، والمجوزة وما إلى ذلك.

- هناك علاقة وطيدة بين السماع والقياس، فإذا تعارضا قَدم السماع وترك القياس.

- إن السماع والقياس مصدران رائدان في حفظ المعطيات اللغوية، ونقل الفصحى من جيل إلى جيل.

- ورد في الخصائص مباحث وأدلة أخرى في علم أصول النحو تناولها المؤلف باقتضاب كالإجماع، عدم النظير، الحمل على الظاهر، استصحاب الحال.

- ترك اعتناق ابن جني لمذهب الاعتزال ملامح وإسقاطات عقلية على الفكر اللغوي لديه، تمظهرت في مستويات عدة في المصطلح، المنهج، اللغة، والأحكام.

- إن الشّاهد اللغوي حاضر بقوة في هذا المصنف جريا على عادة المدونات التراثية العربية، واتخذ من الذكر الحكيم، والمنظوم من كلام العرب روافد له.

- إن ابن جني يُقِرُّ أنّه صنف مدونته الخصائص على سمت ومنهج الفقهاء وعلماء الكلام.

- تحرى كتاب الخصائص المنهج الوصفي، واتخذ من آليات هذا المنهج وسيلة لتحليل المادة اللغوية مع الاستعانة من حين لآخر بالمنهج المقارن في عرض آراء ونظريات سابقيه ومعاصريه.

إجمالاً: إنّ أبا الفتح عثمان بن جني استطاع في كتاب الخصائص أن يرسِيَ الدّرس اللغوي وفق معالم واضحة ويُخرجُه من مرحلة التقليد، والجمود إلى التحرُّر والتّجديد.

واللهَ نسألُ العونَ والتّوفيقَ والسّدادَ.

الفهارس الفنية

فهرس الآيات

الآيات	السورة	الآية	الصفحة
﴿ اللهُ يستهزئُ بِهم﴾	البقرة	15	117
﴿ وعلم آدمَ الأسماءَ كلها﴾		31	59-25
﴿فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ﴾		37	117
﴿ كذلك يُريهُم اللهُ أعمالهم حسراتٍ عليهم وما هم بخارجينَ من النار﴾		167	118
﴿ واتقوا اللهَ الذي تساءلون بِه والأرحامَ﴾	النساء	01	58-14
﴿ وكلَّم اللهُ موسى تكليمًا﴾		164	115
﴿ ومَن يكفرْ بالإيمان فقد حبط عملُه﴾	المائدة	162	117
﴿ قلْ إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للهِ رب العالمين﴾	الأنعام	162	118
﴿ إن رحمةَ اللهِ قريبٌ من المحسنين﴾	الأعراف	56	40
﴿ وأخذَ الذينَ ظلموا الصيحةُ﴾	هود	67	113
﴿ وفـــــوق كــل ذي علــمٍ عليـــــمٌ﴾	يوسف	76	86
﴿ اللهُ خالقُ كل شيءٍ﴾	الرعد	16	115
﴿ ويومَ نبعثُ من كلِّ أمةٍ شهيداً﴾	النحل	89	91
﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ إنا لا نُضِيع أجرَ مَن أحسن عمـلاً ﴾	الكهف	30	113
﴿ أُذِن للذين يُقاتَلون بأنَّهم ظُلموا﴾	الحج	39	113
﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾	الفرقان	72	25
﴿ فلسَوف يَعلمون﴾	الشعراء	49	47
﴿ أو ألقى السَّمع وهو شهيدٌ﴾	ق	37	44
﴿ فيهما عينانِ نضاختــان﴾	الرحمن	66	59
﴿ يرفعُ اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجاتٍ و اللهُ بما تعملون خبيرٌ﴾	المجادلة	م 11	3
﴿ استحوذ عليهم الشَّيطانُ﴾	المجادلة	19	46
﴿ هو الذي بعث في الأميِّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِه ويزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمة وإنْ كانوا مِن قبلُ لفِي ضَلالٍ مبينٍ﴾	الجمعة	02	119
﴿ يومَ يُكشف عن ساقٍ﴾	القلم	42	85
﴿ يقول يا ليتني قدَّمت لِحياتي﴾	الفجر	24	118
﴿ ما ودعك ربك وما قلى﴾	الضحى	03	120

فهرس الشَّواهد الشِّعرية

البيت الشعري	الروي	الصفحة
فإنْ أصبحْ بلا نسبٍ.....فعِلمي في الوَرى نَسَبي على أني أؤول إلى.....قُروم سادةٍ نُجُبِ قيـاصرة إذا نطقوا.....أرُمُ الدَّهر ذو الخُطبِ أولاك دعا النَّبي لهمْ.....كفى شرفاً دعاءُ نبي	الباء	12
يا أيّها الرَّاكبُ المزجي مطيَّتَه.....سائلْ بني أسدٍ ما هذه الصَّوتُ	التاء	60-40
أربتَ إنْ جئت به أملوداً.....مُرجّلاً ويلبس البُرودا أقائلن أحضِروا الشهودا	الدال	66
صُدودك عني ولا ذنبَ لي.....يدلُّ على نيّة فاسدة وقد وحياتك مما بكيت.....خشيت على عيني الواحدة ولولا مخافةُ أن لا أراك.....لمَا كان في تركها فائدة	الدال	12
وجودُ المنى أن لا يكاثر بالمنى.....ونيلُ الغنى أن لا يكاثر بالغنى ومن كان في الدُّنيا أشدَّ تصوراً.....تجده عن الدّنيا أشّدَ تصوُّناً	النون	19
فبنَى لنا بيتاً رفيعاً سمكُه.....فسَما إليه كهلُها وغلامُها	الهاء	38
ليت شعري عن خليلي ما الذي.....غَاله في الحبِّ حتى ودَّعه	الهاء	120

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ط 6 ، 1986.
2. ابن الأنباري كمال الدين أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، دار الطلائع القاهرة – مصر، د ط.
3. ابن الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم، الأضداد، تح محمد أبو الفضل إبراهيم الكويت، دط ، 1960.
4. ابن الأنباري كمال الدين أبو البركات ، لمع الأدلة في أصول النحو، تح سعيد الأفغاني ، دمشق– سوريا، د ط 1957.
5. ابن الأنباري كمال الدين أبو البركات، أسرار العربية، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان، ط 2، 2010.
6. ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات، الإغراب في جدل الإعراب، تح سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، دط 1957.
7. ابن النديم محمد ابن إسحاق، الفهرست، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط 1، 2006.
8. ابن جني ، المنصف في شرح كتاب المازني، تح إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، دار إحياء التراث العربي، الطبعة 1، 1954.
9. ابن جني أبو الفتح ، سر صناعة الإعراب ، تح حسن هنداوي، دار القلم، دمشق – سوريا، الطبعة الثانية، 1993.
10. ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، د ط.
11. ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس ، دار صادر بيروت– لبنان، د ط.
12. ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسين،جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت– لبنان، ط 1، 2010.

13.ابن فارس زكريا أبو الحسن، معجم المقاييس في اللغة، تح شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت– لبنان ، ط 1، 2011.
14.ابن كثير أبو الفداء اسماعيل، البداية والنهاية، تح جودة محمد جودة ، محمد حسني شعراوي، دار ابن الهيثم، مصر، ط 1.
15.ابن مالك محمد بن عبد الله الأندلسي ، متن الألفية ، دار الإمام مالك، باب الوادي ، الجزائر ، الطبعة 02 ، 2007.
16.ابن مضاء أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن القرطبي، الرد على النحاة، تح محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، الطبعة 01 ، 1989.
17.ابن منظور، لسان العرب، تح ياسر سليمان أبو شادي، مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر.
18.أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، تاريخ أبي الفداء، تح محمود ديوب، دارالكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط 1، 1997.
19.أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، ط 2، 2005.
20.الأمدي سيف الدين، الإحكام في أصول الأحكام، (TO-PDF-WWW.AL-MOSTAPHA .COM)
21.الثعالبي عبد الملك أبو منصور، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح محمد أحمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 1، 1983.
22.الزمخشري محمد بن عمر أبو القاسم، أساس البلاغة، تح الأستاذ إبراهيم قلاني دار الهدى، عين مليلة –الجزائر، د ط.
23.سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون، دار التاريخ ، بيروت– لبنان ،دط .
24.السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط 2 ، 1989.
25.السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح فؤاد على منصور، دار المكتبة العلمية، بيروت– لبنان، ط 1، 1989.
26.السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في النحو تح الشيح أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي ، بيروت– لبنان، ط 2.

27. السيوطي جلال الدين، الاقتراح في أصول النحو، تح عبد الحكيم عطية، دار البيروني، الطبعة الثانية، 2006.
28. الشهرستاني محمد عبد الكريم ،الملل والنحل، منشورات الجمل، تح سعيد الغانمي، بيروت– لبنان، د ط 2013.
29. الشيخ محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل، الكواكب الدرية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت– لبنان،ط 1، 2002.
30. عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، الطبعة 3، 2006.
31. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار ابن الجـوزي، القاهرة– مصر، ط1، 2010.
32. عبد القاهر الجرجاني، العمد كتاب في التصريف، تح البدراوي زهران، دار المعارف مصر، دط، 1995.
33. علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، تح محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار النفائس ، بيروت –لبنان ، ط3 ، 2010.
34. الغزالي محمد أبو حامد ، المستصفى من علم الأصول، تح الدكتـور حمزة بن زهير حافظ ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، د ط.
35. الفارسي أبو علي، التكملة، تح كاظم بحر المرجان، عالم الكتب بيروت– لبنان، دط 1999.
36. الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط،، دار الجيل، بيروت– لبنان.
37. القفطي جمال الدين أبو الحسن، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي، القاهرة– جمهورية مصر العربية، الطبع 1، 1986.
38. المبرد محمد بن يزيد، المقتضب، تح محمد عبد الخالق عصيمة، القاهرة مصر، ط2 ، 1994.
39. محمد بن عبد الله بن محمـود ، الكفاية في النحو، تح محمد بن يحي جاد الله الجعبري، دار ابن حزم ، بيروت–لبنان ، ط 1، 2005.
40. المسعودي على بن الحسين أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح عفيف نايف حاطوم ، دار صادر، بيروت– لبنان، ط2، 2010.
41. الوراق أبو الحسن محمد بن عبد الله، علل النحو، تح محمود محمد محمود نصار، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، الطبعة 03، 2013.

42.ياقوت الحموي ، معجم الأدباء (10/ISLAMICBOOK.WS20).

ثانيا: المراجـــع

43.إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان ، ط 3، 1983.
44.أحمد أمين ، ضحى الإسلام، دار ابن الجوزي القاهرة جمهورية مصر العربية، ط1، سنة 2010.
45.أحمد أمين ، ظهر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 2، 2007.
46.أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الأصالة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2010.
47.بكري عبد الكريم ، أصول النحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي، دار الكتاب الحديث ، القاهرة –مصر، ط 1، 1999.
48.بوهاس، جيوم كولوغلي، التراث اللغوي العربي، ترجمة الدكتور محمد حسن عبد العزيز و الدكتور كمال شاهين ، دار السلام للطباعة ، القاهرة، مصر، ط2، 2012.
49.بلملياني بن عمر، تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث دي سوسير أنموذجا ، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون– الجزائر ، 2006.
50.تمـام حسان ، الأصول دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة – مصر، د ط 2009.
51.تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط 1994.
52.تمام حسان، اللغة بين المعيارية و الوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط4، 2000.
53.التواتي بن التواتي، محاضرات في أصول النحو،دارالوعي للنشر والتوزيع، الرويبة – الجزائر، ط 2، 2012.
54.توفيق قريرة ، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، دار محمد علـي للنشر صفاقس– تونـس، ط 1، 2003.
55.جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دون طبعة.
56.جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان.

57.جميل علوش، ابن الأنبا ري وجهوده في النحو، الدار العربية للكتاب، تونس، دط، 1981.
58.حسين خميس سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين ، دار الشروق ، عمان الأردن ، ط 1، 2000.
59.خالد بن سليمان بن مهنا الكندي ، التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث، دار المسيرة ، عمان الأردن ، ط1، سنة 2007.
60.خالد رمضان حسن، معجم اصول الفقه، الروضة للنشر و الاشهار ، د ط ،
61.الدكتور فيصل بدير عون، علم الكلام ومدارسه، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر ، دط .
62.الدكتور محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، دار الأطلس للنشر، الرباط – المغرب ، د ط، 1983.
63.سعيد جاسم الزبيدي، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره ، دار الشروق رام الله – فلسطين، ط 1، 1997.
64.السيد أحمد عبد الغفار،التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية– مصر، د ط.
65.شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة مصر، ط 11.
66.شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط7.
67.عبد الحكيم بن محمد ، مقدمة تحقيق كتاب الخصائص، المكتبة التوفيقية، د ط.
68.عبد الرحمن الحاج صالح ، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية – الجزائر 2007.
69.عبد الرحمن خربوش ، مصادر فقه اللغة العربية قراءة في المادة والمنهج، مؤسسة قاعدة الخدمات الجديدة تلمسان ، الجزائر، د ط.
70.عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، مركز النشر الجامعي، تونس، د ط 2003.
71.عبد الغفار حامد محمد هلال، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني، دار الفكر العربي ، القاهرة –مصر، ط 1، سنة 2006.
72.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، من أعيان الشيعة أبو علي الفارسي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة القاهرة ، مصر، د ط.

73.عبد القادر شاكر، علم الأصوات العربية، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان، ط 1، 2012.
74.عبد القادر عبد الجليل، اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة، دار صفاء للنشر والتوزيع ،عمان– الأردن، ط 1، 1997.
75.عبد المجيد عيساني، أصول وشواهد الاتجاهات النحوية، دار الكتاب الحديث القاهرة– مصر، د ط ، 2012.
76.عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان.
77.عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط 3، 1980.
78.غنيم غانم عبد الكريم ، جهود ابن جني في الصرف وتقويمها وفق علم اللغة الحديث، جامعة ام القرى، د ط، 1991.
79.فاضل صالح السامرائي، ابن جني النحوي، دار عمار، عمان– الأردن، الطبعة 02، 2009.
80.فايز الداية ، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان ، د ط.
81.قاسم الشارة ، تعريب المصطلح العلمي إشكالية المنهج، عالم الفكر، د ط، 1989.
82.كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، دط.
83.كريم حسين ناصح الخالدي ،أصالة النحو العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط 1، 2005.
84.محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ط 1، 1995.
85.محمد علي النجار، مقدمة تحقيق كتاب الخصائص، المكتبة العلمية، مصر، دط، 1952.
86.محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث ، دار عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط 6 ، 1997.
87.محمد فارس، مقدمة سر صناعة الإعراب ، تح محمد حسن، محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية– بيروت لبنان، ط 1، سنة 2000.
88.محمد فتحي السيوطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان ، د ط، 1970.

89.محمد فهمي حجازي، علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية ، دار غريب للطباعة والنشر.

ثالثا: الرسائل الجامعية والمجلات

90.الأستاذ فريد داودي ، مجلة المصطلح ، جامعة تلمسان ، 2012.
91.الأستاذة سيروان الجنابي، الاشتقاق عند ابن جني دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه جامعة الكوفة –العراق.
92.عبد الفتاح المصري، الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية المعاصرة ، مجلة التراث العربي ، العددان 16/15، دمشق– سوريا، 1980.
93.محمد حدوارة ، جذور النظرية السياقية في التراث اللغوي العربي الخصائص أنموذجا ، مذكرة ماجستير، جامعة ابن خلدون– تيارت ، 2007/2006.

فهرس المحتويات

مقدمة.....أ

مدخل.....20

الفصل الأول: البناء المعرفي والمنهجي لمدونة الخصائص

المبحث الأول: تقديم مدونة الخصائص.....22

المبحث الثاني: البناء المعرفي لكتاب الخصائص.....24

1- قضايا فقه اللغة.....24

1-1مفهوم اللغة.....24

1- 2فرضيات شأتها.....25

1-3 الاشتقاق.....26

1-4الترادف.....28

1-5المشترك اللفظي.....29

1-6التضاد.....29.

2- علم الأصوات في مدونة الخصائص.....30

الظلم الصرفي في المدونة.....33

2-3 نماذج من الدرس الصرفي في الخصائص.....35

المستوى النحوي.....37

4-1- النحو.....37

4-2-الإعراب.....38

3-4 البناء.....38

4-4الحذف.....39

5-4 التقديم والتأخير.....39

6-4 الحمل على المعنى.....40

7-4 التحريف.....40

8-4 مسألة العامل.....40

5 أصول النحو.....42

1-5 السماع.....44

5-2-القياس.....45

5-2-1العلة 46
5-3 الإجماع 47
5-4عدم النظير 47
5-5استصحاب الحال 48
المبحث الثالث: المواصفات المنهجية لمدونة الخصائص 49
1- الأصل اللغوي لمادة نهج 49
2- أسس منهج ابن جني في المدونة 50
المبحث الرابع : المكانة العلمية لمدونة الخصائص **55**
شواهد المدونة **58**
1- **الرافد الأول**: القرآن الكريـــم 58
2- **الرافد الثاني**: الحديث الشريف 59
3- **الرافد الثالث**: كلام العـــرب 60
الفصل الثاني: أثر الاعتزال في تفكير ابن جني
توطئة 62
المبحث الأول: التنظير **64**
1- المصطلح 65
1-1 مصطلح الاستحسان 66
1-2 مصطلح تخصيص العلة 67
1-3 مصطلح القياس 67
1-4 مصطلح العامل 68
1-5 مصطلح العلة الموجبة والمجوزة 68
1-6 مصطلح إدراج العلل 69
1-7 مصطلح الدور 69
1-8 مصطلح ترافع الأحكام 69
1-9 مصطلح القض 69
1-10 مصطلح الحكم يقف بين الحكمين 70
2- النظرية 70
2-1 نظرية العلل بين علل الكلام وعلل الفقه 71
2-2 نظرية تخصيص العلل 72

3-2 نظرية العلة الموجبة والمجوزة 72
4-2 نظرية إدراج العلة واختصار العلة 72
5-2 نظرية العامل 74
3- المنهج 76
1-3 نماذج من تجليات المنهج الاعتزالي عند ابن جني 76
المبحث الثاني: على مستوى اللغة 82
1-2 العلة 84
2-2 العدل 84
3-2 القديم 85
4-2 التوحيد 86
5-2 المنزلة بين المنزلتين 86
6-2 الجوهر والعرض 86
7-2 القبيح والحسن 86
8-2 الساكن والمتحرك 87
9-2 الوجود والمحدث 88
10-2 العدم 88
المبحث الثالث: على مستوى الأحكام 89
1-3 القيم الإجرائية للحكم 90
2-3 الحكم بين العلة والنص 90
3-3 أقسام الحكم باعتبار العلة 90
4-3 نماذج من بعض الأحكام 93
الفصل الثالث: تطبيقات من تجليات العقل في مدونة الخصائص
المبحث الأول: مباحث تخص فقه اللغة 97
1-1-تخريجات ابن جني حول مفهوم اللغة 97
2-1-نشوء اللغة 98
3-1الاستدلال العقلي لنظريتي التوقيف والمواضعة 98
4-1التجليات العقلية في الاشتقاق الأكبر 100
5-1الترادف وملمحه العقلي 102
6-1المشترك اللفظي 103

1-7التضاد 103
المبحث الثاني: التخريجات العقلية في علم الأصوات 105
1- 1 الصوت والحرف 105
2-1 الإمالة 106
3-1- الإدغام 107
4-1- الحرف والحركة 108
المبحث الثالث: لمستوى الصرف 109
1- الغرض في مسائل التصريف 109
2- نماذج من المستوى الصرفي 109
المبحث الرابع: المستوى التركيبي. 111
1-4 الإعراب 111
2-4البناء وتخريجته العقلية 112
3النحو 113
4-4- توكيد المجاز 114
5-4-نظرية العامل وتجلياتها العقلية 115
5 -الملمح العقلي في الفاعل والمفعول به 117
6-الحكم يقف بين الحكمين 118
المبحث الخامس : أصول النحو 119
1-5-السماع 119
2-5-القياس 119
3-5 المظهر العقلي في العلة 122
4-5الحجج العقلية للإجماع عند ابن جني 124
5-5-الملامح العقلية في الاستحسان 125
6-5 القرائن العقلية للاستصحاب 125
7-5- المرتكزات العقلية للسبر والتقسيم 126
8-5-الحمل على الظاهر 126
9-5- الاستدلال بعدم النظير 127
الخاتمة 129

فهرس الآيات القرآنية..... 133
فهرس الشواهد الشعرية..... 134
المصادر والمراجع..... 135
فهرس المحتويات 142

ملخص:

النزعة الاعتزالية العقلية ظاهرة في مصنفات أبي الفتح عثمان بن الجني خاصة في مدونة الخصائص، تجلت هذه النزعة العقلية لابن جني في وضع المصطلح، و النظرية و المنهج و اللغة والأحكام، وظهرت تطبيقاتها في جميع المستويات والأنظمة اللغوية التي اشتملت عليها مدونة الخصائص

الكلمات المفتاحية : الأثر العقلي ، التخريجات اللغوية ، القياس ، السماع

Résumé

Alaatzalah tendance phénomène mental dans la œuvres Uthman Ibn Abi Elfath génie dans un code privé de propriétés, manifeste cette tendance mentale de récolter le fils dans le développement de l'expression, et de la théorie et de la méthodologie, de la langue, les phrases, en vedette des applications dans tous les niveaux et des systèmes linguistiques qui sont contenues dans le Code de propriétés

Mots clé : L’impact mental, la langue, Mesure, Audience